تأمّلات

في

سورة الأنفال

بقلم

حسن محمد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة

بجامعة أمّ القرى

بمكّة المكرّمة

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

بعونٍ من الله تعالى وفضل ، سبق لنا أن درسنا السّور التّالية دراسةً متأمّلة ، وهي على التّوالى : سورة يوسف ، سورة مريم ، سورة يس ، سورة الإسراء ، سورة الفرقان ، سورة العاديات ، سورة النّازعات ، سورة الحاقّة ، سورة الرّعد ، سورة محمّد ﷺ ، سورة الفاتحة ، سورة الأحزاب ، سورة البقرة ، سورة آل عمران ، سورة النّساء ، سورة المائدة ، سورة الأنعام ، سورة الأعراف . وبفضل الله تعالى غطّت هذه الدّراسات أكثر من ثمانية آلاف صفحة ، وشملت أكثر من ثلث القرآن الكريم خلال فترة تزيد على الثّلاثة والعشرين عامًا منذ الشّروع فى كتابة هذه التّأمّلات فى كتاب الله تعالى . وها نحن أولاء نستعين الله تعالى على دراسة سورة الأنفال المدنيّة دراسةً متأمّلة ، وهي الدّراسة التّاسعة عشرة فى سلسلة هذه التّأمّلات . وهذه الدّراسة المتواضعة المتأمّلة لسورة الأنفال المدنيّة لا تختلف فى شيءٍ عن الدّراسات السّابقة فهي تحاول تبيين إعجاز السّورة الكريمة ، والرّوابط الظّاهرة والخفيّة الّتى تربط بين أجزائها ولو تباعدت وهي الّتى تدور حول موضوع الجهاد فى سبيل الله تعالى ، والدّروس الّتى يمكن أن تستفاد . وبشأن هذه الدّراسة الّتى بذلت فيها كلّ ما أوتيت من طاقة أقول ما سبق أن قلت عن كلّ الدّراسات المماثلة : إنّى أشهد الله تعالى الّذى لا إله إلاّ هو بأنّى لم أشأ لحظةً من اللحظات أن أحمّل حرفًا واحدًا من كتاب الله تعالى فوق ما يحتمل . ومن كان له أيّ ملاحظةٍ

على هذا العمل وأيّ عملٍ آخر فلا يتردّد فـي إعلانها وتنبيهي ــ جزاه الله تعالى خيرًا ــ عليها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يتفضّل جلّ وعلا بقبوله ، وأن يعفو عمّا بدر منّا من التّقصير ، وألاّ يحرمنا من الأجر ، إنّه جلّ وعلا جوادٌ كريم . ﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصرًا كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين ﴾ وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د . حسن محمّد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة

بجامعة أمّ القرى

بمكّة المكرّمة

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الأحد ١٤١٥/٧/٣٠ هـ

الموافق ١٩٩٥/١/١ م

تمهيد

بين يدي دراستنا المتأمّلة لسورة الأنفال الكريمة نودّ أن نشير إلى بعض المسائل المتعلّقة بها :

١ ــ سورة الأنفال من المدنيّ من القرآن الكريم الّذى نزل بعد هجرة المصطفى ﷺ من مكّة المكرّمة الّتى مكث بها بعد البعثة ثلاث عشرة سنة إلى المدينة المنوّرة . وكان نزول السّورة الكريمة عقب غزوة بدرٍ الّتى كانت فى يوم الجمعة السّابع عشر من شهر رمضان المبارك فى السّنة الثّانية من الهجرة ، والّتى نصر اله سبحانه وتعالى فيها حبيبه المصطفى ﷺ والفئة المؤمنة وهم قلّةٌ وأذلّة على كفّار مكّة الأكثر عددًا وعدّة . ولّما كانت غزوة بدرٍ أولى المعارك الحاسمة بين المسلمين والكافرين فقد كان محور سورة الأنفال الّتى نزلت فى غزوة بدرٍ وملابساتها الجهاد فى سبيل الله تعالى . وإذا كان عددٌ من سور القرآن الكريم بمثابة النّشيد الحربيّ لتحريض المؤمنين على القتال كسورة محمّد ﷺ أو القتال ، وسورة التّوبة ، وسورة الأنفال ، فإنّ هذه المعاني الحاضّة على الجهاد فى سبيل الله تعالى تتجلّى فى سورة الأنفال بأكثر من سائر سور القرآن الكريم . ومن أجل ذلك كان القرّاء المحرّضون للجيوش الإسلاميّة على الجهاد فى سبيل الله تعالى يقرأون هذه السّورة الكريمة فى المقام الأوّل على كتائب الجيش الإسلاميّ .

ولمّا كانت سورة الأنفال الكريمة الّتى نزلت عقب نصر الله تعالى المؤمنين فى بدرٍ وهم قلّةٌ وأذلّة على مشركى قريش قد ابتدأت بالجواب على سؤال الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم المصطفى ﷺ عن غنائم بدر فقد بيّنت حكم الله تعالى فى الغنائم وذلك بنزع غنائم بدرٍ من أيديهم وردّها إلى المصطفى ﷺ كي يحكم فيها بما أراه الله تعالى فى السّورة الكريمة ذاتها .

ولّما كان هذا الحكم فى الغنائم لم يقع أوّل الأمر من بعض الصّحابة رضوان الله تعالى موقع الرّضا فقد أرشد السّياق إلى الصّفات الّتى ينبغى أن يتحلّى بها المجاهدون

فى سبيل الله تعالى وبخاصّةٍ الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، كما أرشد إلى صفات المؤمنين حقّا . ولمّا كان المهاجرون والأنصار عماد جيش المصطفى ﷺ فى بدر ، بل عماد الأمّة الإسلاميّة أمّة محمّد بن عبد الله ﷺ ، تلك الأمّة الّتى وُلِدَت فى المدينة المنوّرة بهجرة المصطفى ﷺ إليها ، فإنّ السّورة الكريمة فى ختامها تنصّ على أنّ المهاجرين والأنصار هم المؤمنون حقّاً ، وذلك دليلٌ على تطبيق المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عليهم نعوت الأمّة المؤمنة وفى مقدّمتها طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً ، بما فى ذلك الأحكام ، ومنها الحكم فى الغنائم أو الأنفال . وهكذا يلتحم آخر السّورة الكريمة بأوّلها .

وقد كان الإيماء إلى كره بعض الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فى أوّل الأمر أخذ الغنيمة من أيديهم منعطفًا للتّحوّل إلى الحديث فى كره فريقٍ منهم رضوان الله تعالى عليهم ، فى أوّل الأمر أيضًا ، إخراج ربّ العزّة حبيبه المصطفى ﷺ من بيته فى المدينة المنوّرة بالحقّ الّذى اصطفاه الله تعالى به ، فى الحق وهو الجهاد فى سبيل الله تعالى من أجل إحقاق الحقّ ورفع قواعد دين الحقّ وإزهاق الباطل ودمغه بالحقّ . إنّ ذلك الفريق يودّ أن تكون الطّائفة الّتى وعد الله تعالى بها المؤمنين العير وغير ذات الشّوكة والسّلاح ، وليس النّفير وذات الشّوكة والقتال . إنّ هذا الفريق سُرْعان ما عاد إلى أرومته المؤمنة الطّيّبة المباركة والتحم بالفئة المؤمنة الّتى يقودها محمّد بن عبد الله ﷺ والّتى تستغيث ربّها جلّ وعلا وقد جدّ الجدّ والجهاد ، وتأكّد الحقّ والقتال .

ما أعظم فضل الله تعالى على المؤمنين فى بدرٍ ، فقد أمدّهم الله تعالى بألفٍ من الملائكة يردف بعضهم بعضًا ثمّ ارتفع العدد إلى ثلاثة آلافٍ ثمّ إلى خمسة آلاف ، وغشّاهم جلّ وعلا النّعاس أمناً منه عزّ وجلّ وأماناً ، ونزّل عليهم المطر بقدرٍ ليطهّرهم بالماء ويذهب عنهم رجز الشّيطان وليربط على قلوبهم ويثبّت به أقدامهم فوق الرّملة الهشّة الّتى تلبّدت بالمطر . وكما كان المطر نعمةً على المؤمنين كان نقمةً

على الكافرين لكثرته من ناحيةٍ ولكونهم فى مكانٍ منحدر أصبح بالمطر الصّيب زَلِقًا لا يثبت عليه قدمٌ ولا حافر . وكما ثبّت الله تعالى المؤمنين بالملائكة ألقى عزّ وجلّ الرّعب ، وهو أشدّ الخوف ، فى قلوب الكافرين .

وبعد تبيين بعض مظاهر الفضل من الله تعالى على المقاتلين فى بدرٍ بقيادة المصطفى ﷺ يأتى تبيين مسؤليّة هؤلاء المجاهدين فى سبيله جلّ وعلا الّذين يبلوهم عزّ وجلّ بالشّرّ والخير فتنة . إنّ على المجاهدين فى بدر ـ وفى غير بدر ـ أن يضربوا فوق أعناق الكافرين وأن يطيروا منهم كلّ عضو وأن يثخنوهم قتلاً وجرحًا بين يدي عذاب النّار الشّديد الّذى ينتظرهم . وإنّ على المجاهدين فى سبيل الله تعالى إذا لقوا الّذين كفروا زاحفين بالجيشين ألاّ يولّوهم الأدبار إلاّ بقصد الميل إلى معاودة القتال أو الانضمام فى ميدان القتال إلى كتيبةٍ مؤمنةٍ أخرى لتكثير سوادها . إنّ من يولّى الكافرين دبره لغيره هاتين الحكمتين يرجع بغضبٍ من الله تعالى ومأواه جهنّم وبئس المصير . والمعروف أنّ السّورة الكريمة بعد ذلك بيّنت بعد التّخفيف من الله تعالى عن المؤمنين أنّ المجاهد الواحد يغلب بإذن الله تعالى اثنين من الكافرين الّذين لا يفقهون . وقد فهم العلماء من هذا التّخفيف أنّ عدد المسلمين إذا كان أقلّ من نصف عدد الكافرين فمن حقّ المسلمين ألاّ يقاتلوا وأن ينسحبوا . والله تعالى أعلم .

ويعود السّياق إلى مواصلة الحديث فى فضل الله تعالى على المؤمنين فى بدرٍ . فمع أنّهم بفضل الله تعالى قاموا فى ميدان القتال بفعل ما يجب عليهم فعله فإنّ السّياق يقول للمجاهدين فى بدر إنّكم لم تقتلوا السّبعين من الكافرين فى بدرٍ ولكنّ الله تعالى هو الّذى قتلهم على الحقيقة . وبشأن المصطفى ﷺ الّذى أخذ بكفّه الشّريفة حَفْنَةً من التّراب ورمى به جيش الكافرين وعدده زهاء ألف مقاتل فدخلت تلك الحفنة فى عيون كلّ الجيش ومناخرهم يقول السّياق له ﷺ: إنّك إذ رميت أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم الجيش بحفنة التراب من كفّك ما رميت على الحقيقة ولكنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذى رمى بأن أوصل تلك الحفنة من التّراب

إلى كلّ عينٍ ومَنْخَرٍ ووجه . إنّ عليكم أيّها المؤمنون أن تجاهدوا فى الله تعالى حقّ الجهاد فإنّه جلّ وعلا ناصركم وموهن كيد الكافرين ومضعف قوّتهم . ويواصل السّياق تهديد الكافرين . إنّهم إن يطلبوا فى بدرٍ من الله تعالى النّصر على الظّالم فقد نصر الله تعالى المؤمنين ، وإنّهم إن ينتهوا عن الكفر فهو خيرٌ لهم ، وإن يعودوا إلى قتال المؤمنين نعد إلى نصر المؤمنين عليهم ولن تغني عنهم فئتهم شيئًا ولو كثرت لأنّ الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين .

وإنّ المؤمنين الّذين يكون الله تعالى معهم هم الّذين يطيعون الله تعالى ويطيعون رسوله ﷺ ولا يتولّون عنه ولا يعرضون وقد سمعوا منه عليه الصّلاة والسّلام دعوة الحقّ وكلمة الصّدق . إنّ هؤلاء المؤمنين هم غير الكافرين الّذين قالوا سمعنا بآذاننا السّامعة وهم لا يسمعون بآذانهم الواعية . إنّهم عند الله تعالى شرّ ما يدبّ على الأرض من مخلوقاته جلّ وعلا لأنّهم صمٌّ عن سماع دعوة الحقّ ، بكمٌ عن النّطق به والدّعوة إليه ، لا يعقلون فهم كالأنعام بل هم أضلّ .

وكما يسمع المؤمنون سماع تدبّر يستجيبون لله تعالى وللرّسول ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم بالإيمان وتعاليم الإسلام . وإنّ عليكم أيّها المؤمنون أن تعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى يحول بين المرء وقلبه فلا يكون إيمانٌ ولا كفرٌ إلاّ بإرادة الله تعالى وأنّكم إليه جلّ وعلا تحشرون يوم القيامة . وإنّ عليكم أن تتّقوا فتنةً لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم فقط بل تشمل الجميع بسبب عدم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وأن تعلموا أنّ الله تعالى شديد العقاب . وإنّ على المؤمنين بعامّة ، المهاجرين بخاصّة ، أن يذكروا إذ هم قليلٌ مستضعفون فى الأرض يخافون أن يتخطّفهم النّاس فى لمح البصر لقلّتهم وذلّتهم فآواهم فى المدينة المنوّرة وأيدّهم بنصره ورزقهم من الطّيّبات لعلّهم يشكرون لله تعالى نعمه وآلاءه . وإنّ على المؤمنين ألاّ يخونوا الله تعالى ويخونوا رسوله ﷺ ويخونوا أماناتهم الّتى يعلمون أنّ الله تعالى قد ائتمنهم عليها . وإنّ على المؤمنين أن يعلموا أنّما أموالهم وأولادهم فتنة وأنّ الله تعالى عنده أجرٌ عظيم ، وإنّ

عليهم أن يتّقوا الله تعالى كي يجعل لهم فرقانًا بين الحقّ والباطل ، ويكفّر عنهم سيّئاتهم ، ويغفر لهم وهو جلّ وعلا ذو الفضل العظيم .

وكما شمل التّذكير بفضل الله تعالى المؤمنين المستضعفين فى مكّة المكرّمة شمل حبيب الله تعالى ﷺ الّذى يُذكّر بفضل الله تعالى عليه وهو عزّ وجلّ خير الماكرين إذ يمكر به عليه الصّلاة والسّلام الّذين كفروا ليسجنوه أو يقتلوه أو يخرجوه فيذهب مكرهم أدراج الرّياح . وكما مكروا به عليه الصّلاة والسّلام ادّعوا أنّ القرآن الكريم ما هو إلا أساطير الأوّلين وأكاذيبهم . وقد بلغ بهم الحمق إلى الحدّ الّذى سألوا الله تعالى معه ، إن كان القرآن الكريم هو الحقّ منه جلّ وعلا ، أن يمطر عليهم حجارةً من السّماء أو أن يأتيهم بعذابٍ أليمٍ بدل أن يسألوا الله تعالى العفو والعافية . وبما أنّ للكافرين أمانَيْن هما وجود المصطفى ﷺ بين ظهرانَيْهم واستغفارهم الله تعالى فإنّ الله تعالى لم يعذّبهم هذا إلى وجود فريقٍ من المؤمنين المستضعفين فيهم . وبهجرة المصطفى ﷺ ذهب أحد الأمانين ، وبصدّهم عن المسجد الحرام وإدخالهم فى الصّلاة ما ليس منها وبصدّهم عن سبيل الله تعالى بالنّفس والنّفس وخروجهم لحرب المسلمين فى بدرٍ ودعائهم على الظّالم من الفريقين بأن تدور الدّائرة عليه ذهب الأمان الثّانى . لقد نال الكافرون فى بدرٍ العقاب الّذى يستحقّون فعليهم أن ينتهوا ويتوبوا ويؤمنوا ويعملوا صالحاً وإلاّ فإنّ سنّة الله تعالى فى الكافرين السّابقين المصرّين على الكفر سوف تجرى عليهم فعليكم أيّها المؤمنون أن تقاتلوا الكافرين كافّة حتّى لا يُفْتَنَ مؤمنٌ عن دينه وحتّى يكون الدّين كلّه لله تعالى . واعلموا أيّها المؤمنون أنّ الله سبحانه وتعالى معكم دائمًا وأبدًا . إنّه جلّ وعلا نعم المولى ونعم النّصير . ولمّا كان الصّراع بين الحقّ والباطل مستمرّاً وكان أهل الحقّ مستمسكين بتعاليم القرآن وسنّة أشرف المرسلين فى الأخذ بالأسباب وإعداد ما استطاعوا من قوّة فإنّ النّصر سيكون بإذن الله تعالى حليفهم والغنائم نصيبهم . ويبيّن السّياق كيفيّة توزيع الغنائم ويومئ إلى أنّ الّذين يطبّقون ذلك الحكم من الصّحابة ويقع منهم موقع الرّضا بعد اختلافهم فى غنائم بدر هم

الّذين يؤمنون بالله تعالى ربّاً وبما أنزل الله تعالى على حبيبه وعبده ﷺ يوم بدرٍ يوم الفرقان والفصل بين الحقّ والباطل من ملائكةٍ أطهار وآيات بيّناتٍ . ويعيّن السّياق موقع جيش المسلمين وجيش الكافرين وموقع العير الّتى انحاز بها أبو سفيان ناحية السّاحل فالتقى الجيشان بإذن الله تعالى على غير ميعادٍ ليقضى جلّ وعلا أمراً كان مفعولاً بأن يكون النّصر حليفكم أيّها المؤمنون ويحيا بالإيمان ويموت بالكفر من شاء عن آيةٍ بيّنةٍ وحجّةٍ بالغة .

ومن مظاهر عون الله تعالى السّميع العليم على نصر المؤمنين أنّه جلّ وعلا أرى المصطفى ﷺ فى منامه المشركين قليلاً كي يخبر الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم بالرّؤيا فتقوى قلوبهم على القتال ، وأرى المؤمنين ساعة اللّقاء المشركين قليلاً للحكمة ذاتها وأرى المشركين المؤمنين قليلاً كي يستهينوا بهم .

وكما جاء فى مناسبةٍ مماثلةٍ الحثّ على تحمّل المسؤليّة إثر تبيين بعض مظاهر العون من الله تعالى للمؤمنين جاء هنا الحثّ على القتال وتعيين أسباب النّصر الخمسة بإذن الله تعالى وهي الثّبات أمام الكفّار فى الميدان ، وذكر الله تعالى ذكراً كثيراً ، وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، وترك التّنازع والصّبر . ويضاف إلى ذلك الشّرطان اللّذان ينبغى توافرهما بين يدي تفضّل الله تعالى بقبول الجهاد وسائر الأعمال وهما صلاح العمل بمقياس الإسلام وأن يراد بالعمل الصّالح وجه الله تعالى . وكان الإيماء إلى هذين الشّرطين عن طريق نهي المؤمنين أن يكونوا مثل كفّار مكّة الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى من ناحية ، والّذين خرجوا من ناحيةٍ أخرى لقتال المسلمين بباعث البطر والفخر . لقد زيّن الشّيطان الرّجيم لأوليائه كفّار مكّة أعمالهم وأوهمهم أنّهم لا غالب لهم من النّاس وأنّه جارٌ لهم فلن تعين قبائل تلك النّاحية المسلمين ، وكذب اللّعين . إنّه حينما رأى الملائكة فى بدر كان أوّل النّاكصين على عقبيه ، وتبرّأ من المشركين ، وصرّح بأنّه يرى الملائكة الّتى لا يراها المشركون ولهذا هو يخاف الله تعالى ! وهكذا نقض اللّعين الثّلاث العُرَى

الّتى أبرم ، الواحدة تلو الأخرى . وكما زيّن اللّعين للكافرين أعمالهم زيّن للمنافقين وللّذين فى قلوبهم مرضٌ القول عن المؤمنين : ﴿ غرّ هؤلاء دينهم ﴾ ويجهل المنافقون أنّ المؤمنين متوكّلون على الله تعالى العزيز الحكيم . ويلاحظ ارتباط العمل بالكافرين والقول بالمنافقين . وهذا ارتباطٌ طبيعىّ .

ولّما كان المطلوب من النّاس قبل أن يلقوا الله تعالى الإيمان لا الكفر ، والشكران للنّعم لا الكفران وإلاّ كان الأخذ شديدًا ، والعذاب أليماً فى الأولى قبل الآخرة كان ثمّة حديثٌ عن ضرب ملائكة العذاب الكافرين ساعة الوفاة على وجوههم وأدبارهم بين يدي عذاب الحريق فى الآخرة . ويُنذِر السّياق كفّار مكّة والكافرين أمثالهم بما حلّ بالكافرين السّابقين بالله تعالى وللنّعم كآل فرعون والّذين من قبلهم . إنّهم قد عاقبهم الله تعالى على كفرهم وكفرانهم النّعم ، فى الدّنيا بزوال النّعم ، وفى الآخرة بدخول النّار وبئس القرار . إنّ كفّار مكّة الّذين سلبهم الله تعالى نعمة المصطفى ﷺ بإخراجه من بين ظهرانَيْهِمْ وبهزيمتهم النّكراء فى بدرٍ سيكون مصيرهم النّار وبئس القرار إن لم يتوبوا ويؤمنوا ويعملوا صالحًا . وبشأن جنس الكفّار هم شرّ الدّوابّ عند الله تعالى بسبب كفرهم وكفرانهم وبسبب نقضهم العهود المؤكّدة دائماً . إنّ عليك أيّها الرّسول الكريم وأيّها القائد المسلم بشأن من نقضوا العهود أن تقاتلهم حتّى يخافك الّذين يفكّرون فى نقض العهود مستقبلاً . وبشأن الّذين تخاف منهم الخيانة عليك أن تُلْقِى إليهم عهدهم وتعلمهم بذلك كي تكونوا أنتم وهم مستوين فى العلم بأنّ كلاًّ منكم حربٌ للآخر وكيلا يتّهموكم بنقض العهد من جانبكم فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبّ الخائنين وعلى الكافرين أن يعلموا أنّهم لا يعجزون الله تعالى . ولّما كان الله تعالى يسلّط رسله على من يشاء وكان لله تعالى جنود السّماوات والأرض الّتى لا يعلمها إلاّ هو وكان المؤمنون جند الله تعالى فإنّ السّياق يأمرهم بأن يعدّوا ما استطاعوا من قوّةٍ يرهبون بها عدوّ الله تعالى وعدوّهم الظّاهر والمستتر وأن يجاهدوا فى سبيل الله تعالى بالنّفس والنّفيس .

وبشأن الأعداء إن هم مالوا إلى المسالمة فإنّ عليك أيّها الرّسول الكريم وأيّها القائد المسلم أن تميل إليها وأن تتوكّل على الله تعالى السّميع العليم . إنّك فى استجابتك بالميل إلى المسالمة وبالتّوكّل على الله تعالى تفترض فى القوم الصّدق . فإن أراد الأعداء أن يخدعوك ويستفيدوا من الوقت كي يغدروا بك فإنّ حسبك الله تعالى وكافيك ، وهو جلّ وعلا الّذى أيّدك بنصره وبالمؤمنين مهاجرين وأنصاراً وألّف بين قلوبهم . إنّك لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله تعالى العزيز الحكيم هو الّذى ألّف بينهم . ويتّجه الخطاب إلى المصطفى ﷺ الّذى يناديه ربّه جلّ وعلا أكثر من مرّة بصفة النّبوة ويخبره بأنّ حسبه الله تعالى وكافيه وحسبه من اتّبعه من المؤمنين . وينادى جلّ وعلا حبيبه ﷺ ويأمره بأن يحرّض المؤمنين على القتال . لقد كان الواحد من المؤمنين فى فجر الإسلام ووقت قلة المؤمنين يستطيع بإذن الله تعالى أن يغلب عشرةً من الّذين كفروا . وخفّف الله تعالى عن المؤمنين وعلم أنّ فيهم ضعفًا فبيّن السّياق أنّ المؤمن الواحد يغلب بإذن الله تعالى اثنين من الّذين كفروا . وقد اقترن هذا التّخفيف بكثرة المؤمنين .

ولمّا كان القتال والجهاد فى سبيل الله تعالى يتعلّق بهما هزيمة الكافرين وأسرهم بإذن الله تعالى كما حدث فى غزوة بدرٍ فإنّ السيّاق فى أسلوب العتاب للمصطفى ﷺ يبيّن المعاملة الأحرى بالأسرى فى هذه المعركة الأولى الحاسمة بين المسلمين والكافرين . لقد كان الأحرى قتل الأسرى وليس أخذ الفداء منهم وكأنّ فى أخذ فداء أسرى بدرٍ تجاوزاً للفاضل وهو القتل على المفضول . ولمّا كان قد سبق فى علم الله تعالى أنّه عزّ وجل سيحلّ لمحمّد وحده من بين سائر النّبيين وللأمّة المحمّديّة الغنائم ويلحق بالغنائم أخذ الفداء من الأسرى فإنّ السّياق يبادر على الفور إلى تقرير ما سبق إليه القضاء من هذا الإحلال وإلى الإذن للمؤمنين بأن يأكلوا ممّا غنموا حلالا طيّباً ، وبأن يتّقوا الله تعالى الغفور الرّحيم . وفى الإذن بالأكل إذنٌ ضمنيٌّ لكلّ ما سوى الأكل . والمعروف أنّ قتل الأسرى الّذى كان فاضلاً فى بدرٍ أصبح مفضولاً وأنّ أخذ الفداء الّذى كان مفضولاً أصبح فاضلاً كما يتبيّن من الآية الكريمة الرّابعة من سورة محمّد عليه الصّلاة والسّلام .

ولّما كان من أسرى بدرٍ من كان صادق الإيمان ولكنّه اضطرّ لأن يكون فى جيش الكافرين ثمّ أعلن إسلامه فى الوقت المناسب فإنّ السّياق يبشّر الصّادقين فى الإيمان من الأسرى الّذين أُخِذ منهم الفداء بإنّ الله تعالى سوف يؤيتهم خيرًا مما أخِذ منهم وبأنّ الله تعالى الغفور الرّحيم سوف يغفر لهم .

ولّما كان من بين الّذين مالوا إلى المسالمة أرادوا خيانته ﷺ ، ويلحق بهم بعض أسرى الّذين أخذ منهم الفداء فإنّ ربّ العزّة يخبر المصطفى ﷺ بأنّه كما مكّن المؤمنين فى بدرٍ من الخائنين سوف يمكّنهم منهم فى المستقبل لأنّهم خانوا الله تعالى قبل أن يخونوا المصطفى ﷺ والمؤمنين .

ولّما كان المهاجرون والأنصار هم قوام جيش المصطفى ﷺ فى بدر ، وقوام الأمّة الإسلامية الّتى تكوّنت فى المدينة المنوّرة بعد هجرة المصطفى ﷺ فإنّ السّياق يبيّن بصريح اللّفظ أنّ المؤمنين مهاجرين وأنصارًا بعضهم أولياء بعض . أمّا الّذين آمنوا ولم يهاجروا فإنّهم أعراب المسلمين وعليهم أن يهاجروا ويذوبوا فى الأمّة المسلمة المأمورة بأن يكون بعضهم أولياء بعض ونصراء بعض . وبشأن الأعراب المسلمين الّذين لم يهاجروا على الأمّة المسلمة أن تنصرهم فى الدّين إلاّ على قومٍ بينهم وبين المؤمنين عهدٌ فعلى المؤمنين أن يتمّوا إليهم عهدهم وأن ينصروا أعراب المسلمين بدون قتال المعاهدين . وكما كان المسلمون أمّةً واحدةً كان الكافرون أمّةً واحدة . فعلى المؤمنين أن يتّحدوا ويكونوا أمّةً واحدة ، ضدّ الكفر الملّة الواحدة ، وإلاّ عمّت الفتنة والفساد الكبير فى الأرض .

ولّما كانت هذه الدّروس القرآنيّة إنّما يستفيد منها المؤمنون الّذين يتّجه إليهم الحديث فإنّ السّورة الكريمة فى ختامها تقرّر أنّ الأمّة المؤمنة الحقيقيّة تتمثّل فى المهاجرين والأنصار أساسًا ، وفى الّذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا مع السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار . ويلحق بهؤلاء التّابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين .

ولّما كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى فجر الإسلام سببًا فى أن يرث كلٌّ منهما الآخر دون قرابته ، وكان حكم الله تعالى فى المواريث قد تبيّن أخيرًا فى آيات

المواريث الثلاث من سورة النّساء فإنّ آخر آيات السّورة الكريمة تنسخ الحكم المؤقّت فى الميراث بالمؤاخاة ، كما تنسخ كذلك سائر الأحكام المؤقّتة فى الميراث . وتشترك هذه الآية الكريمة الأخيرة مع الآية الكريمة السّادسة من سورة الأحزاب فى عمليّة النّسخ هذه لكلّ صور الميراث المؤقّتة ، وفى تأكيد فحوى آيات الميراث الثّلاث من سورة النّساء . وكما استقرّ الميراث فى الإسلام على الصّورة الأخيرة الّتى بيّنتها آيات المواريث فى سورة النّساء استقرّ ما قرّرته الآية الكريمة الرّابعة من سورة محمّد ﷺ بأنّ المنّ على الأسير أو أخذ الفداء منه أفضل من قتله أو استرقاقه . علماً بأنّ من حقّ الإمام فى ضوء مصلحة الأمّة وطريقة معاملة الخصوم لأسرانا أن يعامل أسرى الخصوم وفق إحدى الحالات الأربع المذكورة والمبيّنة فى القرآن الكريم وفى سنّة المصطفى ﷺ .

من الاستعراض السّابق لمعانى السّورة الكريمة يتبيّن أنّ المحور الّذى تدور حوله هو الجهاد فى سبيل الله تعالى . وبشأن عرض القرآن معانيه نقول عن هذه السّورة الكريمة ما نقوله عن سواها بأنّ القرآن الكريم يرضى كلّ عقلٍ بفصوص حكم معانيه ، ويشبع كلّ نفسٍ بجمال تركيب مبانيه .

٢ ــ سورة الأنفال ثانى سور القرآن الكريم الّتى نزلت بعد الهجرة . جاء فى الإتقان[١] : « ثمّ أنزل بالمدينة : سورة البقرة ، ثمّ الأنفال » .

٣ ــ عدد آيات سورة الأنفال خمسٌ وسبعون آية . وعدد كلماتها ١٢٣١ ألفٌ ومائتان وإحدى وثلاثون كلمة . وعدد حروفها ٥٢٩٤ خمسة آلاف ومائتان وأربعةٌ وتسعون حرفًا[٢] .

وبعد هذه الجولة مع معالم سورة الأنفال المدنيّة الكريمة نتحوّل مستعينين بالله تعالى ، دائمًا وأبدًا ـ إلى الدّراسة المُتأمّلة لسورة الأنفال .

---

(١) الإتقان ١/٤٣ . (٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنّيسابورى . مطبوع بهامش تفسير الطّبري . بولاق ١٣٢٧٠ هـ ٩/١٠٦ .

الدّراسة المتأمّلة لسورة الأنفال

[١]

« من نعوت المؤمنين وحرص فريقٍ منهم على الأنفال وعلى العير »

الآيـــات (١ ــ ٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

محور آيات القِسم الكريمات الأنفال أو غنائم بدر الّتى اختلفت آراء الصّحابة بشأنها فنزعها الله تعالى منهم وجعلها إلى رسوله ﷺ الّذى وزّعها كما حكم الله تعالى . ويحتاج المؤمنون إلى مستوىً رفيعٍ من الإيمان كي يُصْلِحوا ما بينهم وكي ينزل من نفوسهم مثل هذا النّوع من الحكم منزل الرّضا . لقد دارت آيات القسم حول هذه المعانى إضافةً إلى حبّهم الاستيلاء على قافلة قريش التّجاريّة القادمة من الشّام بقيادة أبى سفيان وزهدهم فى القتال بل كره بعضهم له رغم أنّ كلّ الخير فيه . تبدأ الآية الكريمة الأولى بتقرير سؤال الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم المصطفى ﷺ عن الأنفال والغنائم ويكون الجواب على هذا السّؤال فى هيئة الأحكام من ربّ الأنام . إنّ الأنفال لله تعالى الّذى يأتى النّصر من عنده جلّ وعلا وحده لا شريك له ، وللرّسول ﷺ يضعها حيث أمره الله تعالى بوضعها . وإنّ على المؤمنين الّذين اختلفوا فى شأن الغنائم أن يتّقوا الله تعالى حقّ تقاته كي يتجلّى ذلك فى صلاح ذات بينهم ، وأن يطيعوا الله تعالى طاعةً مطلقة ، وأن يطيعوا رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً ، دليلاً على بلوغهم المستوى الرّفيع من الإيمان . ويعيّن السّياق النّعوت الخمسة للإيمان مرتّبةً وفق كثرتها . لقد تقدّم ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً فى السّياق وما ينبغى أن يترتّب عليه من وجل القلوب لسهولة الذّكر ولهذا لم يضع الشّارع الحكيم نهايةً له ولا موعدا . ويلى ذلك تلاوة القرآن الكريم وتدبّره وما ينبغى أن يترتّب على ذلك من زيادة الإيمان . ويلى ذلك التّوكّل على الله تعالى فى كلّ الأمور والرّضا التّامّ بالنّتائج . ولمّا كانت هذه النّعوت القلبيّة غالباً بحاجةٍ إلى الدّليل العمليّ عليها كان ثمّة ذكرٌ للصّلاة عماد الدّين وهي خمس صلواتٍ مفروضةٍ فى اليوم واللّيلة ، فذكرٌ للإنفاق ممّا رزق الله تعالى ابتداءً بالزّكاة الرّكن الثّالث من أركان الإسلام وأهمّ الأركان فى مجال المال . ومعروفٌ أنّ الدّورة الزّمنيّة للزّكاة

أكبر من الدّورة الزّمنيّة للصّلاة الرّكن الثّاني من أركان الإسلام . إنّ لهؤلاء درجاتٍ عند ربّهم جلّ وعلا ومغفرةً لذنوبهم ورزقًا كريمًا في الجنّة .

وكما كان حال فريقٍ من المؤمنين الكره لنزع الأنفال من أيديهم كان حال فريقٍ من المؤمنين الكره لإخراج ربّ الأنام المصطفى ﷺ من بيته الآمن المطمئنّ فيه بالمدينة المنوّرة إلى بدرٍ حينما تأكّد القتال بعد نجاة القافلة الّتي يحبّ ذلك الفريق الاستيلاء عليها خاصةً وقد وعده المصطفى ﷺ بإيحاءٍ من ربّ الأنام جلّ وعلا بأنّ إحدى الطّائفتين ، العير أو النّفير ، تكون له ومن نصيبه . إنّ هذا الفريق المحبّ للاستيلاء على القافلة الّتي خرج من أجلها على جناح السّرعة وقلّة الاستعداد والّتي هي إحدى الطّائفتين اللّتين وُعِد بإحداهما يجادل المصطفى ﷺ في الحقّ وقد تبيّن والقتال وقد تأكّد وكأنّه لحرصه على القافلة وقلّته وذلّته يساق كلّ فردٍ من أفراده إلى الموت الّذي حضرت أسبابه كي يُقْتَلَ صَبْرًا فهو بمثابة من يرى الموت عِيانًا بعينيه اللّتين في رأسه . ويبيّن السّياق على جهة التّفصيل ما يودّه المؤمنون من الطّائفتين وما يريده الله تعالى العليم الخبير . إنّ الله تعالى يعد المؤمنين على لسان حبيبه ﷺ إحدى الطّائفتين ، ويودّ المؤمنون الطّائفة الأولى طائفة العير ، ويريد الله تعالى الطّائفة الأخرى طائفة النّفير الّتي عُبِّر عنها بالحقّ من أجل إحقاق الحقّ الّذي جاءت به آي الذّكر الحكيم بأنّ جند الله تعالى هم الغالبون . وهكذا يكون لفظ الحقّ في القِسَمْ دالاً على الحقّ النّظريّ كما يتبيّن في آي الذّكر الحكيم ، وعلى الحقّ العمليّ أو التّطبيقيّ كما يتبيّن في الجهاد في سبيل الله تعالى الّذي ينبغي أن يقترن بالحقّ النّظريّ دائمًا وأبدًا . ويكون تلاحم هذين النّوعين من الحقّ من أجل إحقاق الحقّ بإعلاء كلمة الله تعالى وإزهاق الباطل كي يذهب جُفاءً ويمضي هباءً ولو كره المجرمون الكافرون كلّ هذه الأنواع من الحقّ .

الآيـــة رقـــم (١)

قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قُلِ الأنفـال لله والرّسـول فـاتّقوا وأصلحـوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

سورة الأنفال المدنيّة[١] نزلت بعد سورة البقرة أولى السّور المدنيّة نزولاً[٢] والمعـروف أنّ المكّيّ من القرآن ما نزل قبل هجرة المصطفى ﷺ من مكّة إلى المدينة ، وأنّ المدنيّ ما نزل بعد الهجرة[٣] وفى الآية الكريمة المسلمون يسألونه ﷺ وربّ العزّة يجيب .

جاء فى البحر المحيط[٤] عن بن عبّاسٍ أنّه قال : ما كان أمّةٌ أقلّ سؤالاً من أمّة محمّد ﷺ . سألوا عن أربعة عشر حرفًا فأجيبوا منها فى سورة البقرة أوّلها : ﴿ وإذا سألك عبادى عنّى ﴾[٥] والثّانى هذا[٦] وستّة بعدهـا . وفـى غيرهـا ﴿ يسـألونك ماذا أحلّ لهم ﴾[٧] ﴿يسألونك عـن الأنفـال ﴾[٨] ﴿ ويسـألونك عـن الـرّوح ﴾[٩] ﴿ويسألونك عن ذى القرنين ﴾[١٠] ﴿ ويسألونك عـن الجبـال ﴾[١١] ﴿ يسـألونك عن السّاعة ﴾[١٢] .

روى ابن إسحاق عن أبى أُمامة الباهليّ قـال : سـألتُ عُبـادة بـن الصّـامت عـن الأنفال فقال : فينا أصحابَ بدرٍ نَزَلت حين اختلفنا فى النّفَل وساءت فيه أخلاقنا . فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسـول الله ﷺ بـين المسـلمين عـن بَواء . يقول : على السّواء[١٣] .

---

(١) الإتقـان ٤٣/١ وتفسـير ابـن كثـير ٢٨٢/٢ والجلالـين وغرائـب القـرآن ورغـائب الفرقـان للنّيسابورى مطبوع بهامش تفسير الطّبري ١٠٦/٩ وصحيح البخـاري ٧٧/٦ وفتـح البـارى ٢٨٦/٧ والسّيرة النّبويّة لابن هشام (حلبى) ٦٦٦/١ وصحيح مسلم ١٦٥/١٨ .

(٢) انظر الإتقان ٤٣/١ .
(٣) انظر الإتقان ٣٧/١ .
(٤) البحر المحيط ٦١/٢ .
(٥) سورة البقرة ١٨٦ .
(٦) يزيد الآية ١٨٩ من سورة البقرة : ﴿ يسألونك عن الأهلّة ﴾ .
(٧) سورة المائدة ٤ .
(٨) سورة الأنفال ١ .
(٩) سورة الإسراء ٨٥ .
(١٠) سورة الكهف ٨٣ .
(١١) سورة طه ١٠٥ .
(١٢) سورة النّازعات ٤٢ .
(١٣) السّيرة النّبويّة (حلبى) ٦٤٢/١ و٦٦٦ وانظر صحيح البخاري ٧٧/٦ .

يخاطب ربّ العزّة المصطفى ﷺ ويقول له إنّ أصحابك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم يسألونك عن الأنفال بمعنى الغنائم وأحدها نَفَل ، بفتح النّون والفاء ، بمعنى الغنيمة[1] .

وقد عرفنا السّبب فى نزول الآية الكريمة وهو اختلاف الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فى غنائم غزوة بدر وحرص بعضهم على الاستئثار بالنّصيب الأكبر .

ولمّا كان المسلمون فى غزوة بدرٍ قلّةً وأذلّةً بالقياس إلى المشركين وكان النّصر فى بدرٍ من الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فقد كانوا فى مجموعهم يودّون العير وليس النّفير هذا إلى قلّة عددهم وعتادهم فقد رُدّت الغنائم إلى الله تعالى وإلى حبيبه المصطفى ﷺ . وهكذا نزع الله تعالى الأنفال من أيدى الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم وجعلها إلى رسوله ﷺ : ﴿ قل الأنفال لله والرّسول ﴾ والخطاب هنا للمصطفى ﷺ . ومن الملاحظ أنّ الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم يسألون المصطفى ﷺ عن الأنفال وأنّ الّذى يجيب ربّ محمّد ﷺ ربّ العالمين وليس محمّدًا ﷺ الّذى لا يجيب فى الأحكام إلاّ بوحيٍ من ربّه جلّ وعلا .

وإذا كان قبول المسلم لله ربّ العالمين هذا الحكم فى الغنائم يشترط التّحلّى بتقوى الله تعالى ، فإنّ هذه التّقوى تترتّب هي الأخرى على الامتثال لأحكام الله تعالى وتأخذ بإذن الله تعالى فى النّموّ والازدياد حتّى تكون الإحسان ذاته أو قريبًا منه . والإحسان كما بيّنه المصطفى ﷺ أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

ولمّا كان سلوك الصّحابة تجاه الغنيمة السّبب وراء نزول الآية الكريمة والحكم فى الأنفال فإنّ صفة التّقوى الّتى أمرت الآية الكريمة المؤمنين بأن يتحلّوا بها ينبغى أن يكون لها أثرها الحميد على سلوك الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

---

(١) اللّسان : « نفل » .

ومعاملاتهم . إنّهم مأمورون وراء تقوى الله تعالى أن يصلحوا ذات بينهم والحال بينهم[١] وحقيقة ما بينهم بالمودّة وترك النّزاع[٢] .

وتعتبر تقوى الله تعالى وإصلاح المؤمنين حالهم وحقيقة ما بينهم الدّليل الملموس على طاعة الله تعالى طاعةً مطلقة ، وطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً كذلك : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ويلاحظ بشأن القول : ﴿ فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ تقدّم ما يتعلّق بالذّات العليّة على ما يتعلّق بعباد الله تعالى . وإنّ الشّيء ذاته يلاحظ بشأن القول المترتّب عليه : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ إنّ ما يتعلّق بالذّات العليّة يتقدّم على ما يتعلّق من قولٍ بعبد الله تعالى وحبيبه ﷺ .

وإنّ هذا القول خطابًا للمؤمنين : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بمثابة الشّرط أو القاعدة الأساسيّة الّتى تُبْنَى عليها كلّ معانى الآية الكريمة ودروسها . إنّ الّذين يسألون عن الأنفال هم المؤمنون . وإنّ الّذين يتّقون الله تعالى ويصلحون حالهم وذات بينهم ويطيعون الله تعالى ويطيعون رسوله ﷺ هم المؤمنون . ووراء ذلك تتفاوت درجات الإيمان . فعلى سبيل المثال يزداد نصيب الفريق الّذى رضي بحكم الله تعالى فى الغنائم من الإيمان ويكبر حظّه بالقياس إلى ذلك الفريق الّذى لم يقع من نفسه ذلك الحكم موقع الرّضا بالقدر الكافى ، وربّما حلّ الكره لذلك الحكم محلّ الرّضا . فما هي أهمّ نعوت المؤمنين ؟ وما هو ثوابهم . لقد أجابت على ذلك .

الآيات رقم (٢ - ٤)

قال تعالى : ﴿ إنّما المؤمنون الّذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربّهم يتوكّلون . الّذين يقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقّا . لهم درجاتٌ عند ربّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾ .

---

(١) تفسير الطّبري ١١٩/٩ .

(٢) الجلالين

من المعروف أنّ إنّما تفيد الحصر أو القصر ، وبذلك يكون المؤمنون الخليقون بصفة الإيمان الحقيقيّ هم أولئك الّذين تتحقّق فيهم هذه النّعوت . ويلاحظ أنّ هذه النّعوت خمسة . وممّا يلاحظ أنّ النّعوت الّتى ينبغى توافرها فى المجاهدين فى سبيل الله تعالى الخليقين بالتّأييد والنّصر من ربّ العالمين هي كذلك خمسة ، وذلك على نحو ما يتبيّن من الآيتين الكريمتين الخامسة والأربعين والسّادسة والأربعين فى السّورة الكريمة .

وحينما نتأمّل نعوت الإيمان الخمسة وهي وجل القلوب بمعنى فزعها وخوفها[1] لذكر الله تعالى ، وازدياد الإيمان لتدبّر معانى آيات الله تعالى ، والتّوكّل على الله تعالى ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزّكاة ومطلق الإنفاق ممّا رزق الله تعالى نتبيّن أنّ هذه النّعوت ينبّه التّرتيب الّذى جاءت فيه على حظّ النّعت المتقدّم من كثرة التّحقّق والورود بالقياس إلى الّذى يليه .

ومن البيّن أنّ ذكر الله تعالى أكثر هذه النّعوت ورودًا وذلك لسهولة الذّكر ولذلك لم يضع الشّارع الحكيم له حدًا ولا لأدائه موعدا . جاء - على سبيل المثال - فى سورة الأحزاب[2] قول الحق جلّ وعلا : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا . وسبّحوه بكرةً وأصيلا ﴾ وجاء فى سورة النّساء[3] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ فإذا قضيتم الصّلاة فاذكروا الله قيامًا وقعوداً وعلى جنوبكم . فإذا اطمأننتم فأقيموا الصّلاة . إنّ الصّلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا ﴾ .

وينبغى أن يكون لذكر الله تعالى بقول : لا إله إلاّ الله ، وللتّسبيح بقول : سبحان الله ، وللتّحميد بقول : الحمد لله ، وما إلى ذلك من ذكرٍ لله تعالى أثره فى القلوب الموصولة بالله تعالى بأن يملأ تلك القلوب الوجل والخشية لذكر الله تعالى . والمعروف أنّ الخشية مزيجٌ من الحبّ والخوف . إنّ قلوب أولئك المؤمنين توجل لذكر الله تعالى لأنّها قلوبٌ موصولةٌ بالله تعالى ترجو ثوابه جلّ وعلا وتخشى

---

(١) اللّسان : « وجل » . (٢) الآية ٤١ و٤٢ . (٣) الآية ١٠٣ .

عقابه. ولا يقتصر ذلك الأثر الحميد على قلوب المؤمنين حينما يذكرون الله تعالى بألسنتهم اللاّهجة ، ونفوسهم الخاشعة ، وقلوبهم الضّارعة ، وآذانهم الواعية ، وعقولهم الرّاعية ، إنّما تكون تلك صفاتهم لمجرّد ذكر الله تعالى سواءٌ مرّ الذّكر على ألسنتهم أو على ألسنة سواهم . وإنّ الّذى نبّه على هذا الشّمول صيغة المبنى للمجهول : ﴿ إذا ذُكِر الله ﴾ وبمقدار ذكر الله تعالى الّذى ليس له حدود يكون وجل قلوب أولئك المؤمنين . وينبغى أن يكون لوجل القلوب آثارها الحميدة على نوايا أولئك المؤمنين وأقوالهم وأفعالهم . إنّ الخوف الشّديد من الله تعالى هو الّذى يصبغ كلّ ذلك بلونه .

ويأتى بعد وجل القلوب لذكر الله تعالى ازدياد أولئك المؤمنين إيمانًا لتلاوة آي الذّكر الحكيم . ومن البيّن أنّ تلاوة آي الذّكر الحكيم تأتى من زاوية الكثرة بعد عمليّة الذّكر . وكما جاءت جملة : ﴿ إذا ذُكر الله ﴾ فى صيغة المبنى للمفعول جاءت الجملة هنا : ﴿ وإذا تُلِيَت عليهم آياته زادتهم إيمانًا ﴾ وبذلك تشمل هذه الصّيغة تلاوة القرآن الكريم على أولئك المؤمنين من قبل الآخرين . وتكون تلك التّلاوة فى الصّلاة الجهريّة وفى غيرها . وحينما يزداد إيمان هذه الفئة المؤمنة لسماع القرآن من الآخرين يزداد إيمانها حينما تتلوه من باب الأحْرى والأَوْلى . وإنّما يزداد الإيمان لتلاوة القرآن الكريم حينما يكون ثمّة استماعٌ له حينما يُقْرأ وإصغاءٌ وتدبّر . وفى ذلك حثٌّ بطريق غير مباشرٍ على تدبّر القرآن الكريم . ثمّ إنّ صيغة المبنى للمفعول هنا كأنّها تحثّ غير القادر على تلاوة آي الذّكر الحكيم بذاته على أن يحرص على الاستماع له والإنصات حينما يتلوه الآخرون . وبذلك تجمع قلوب المؤمنين بين الوجل المستمرّ لذكر الله تعالى ذكرًا كثيرًا وبين الزّيادة الدّائمة للإيمان لتلاوة آي الذّكر الحكيم والإنصات له وتدبّره .

ومن البيّن أنّ هاتين الصّفتين للمؤمنين لازمتان . وتتلوهما الصّفة الثّالثة المتعدّية هذه المرّة وهي بمثابة الثّمرة لوجل القلوب وازدياد إيمانها . وهذه الصّفة الثّالثة هي

التّوكّل على الله تعالى : ﴿ وعلى ربّهم يتوكّلون ﴾ ومن المعروف أنّ التّوكّل على الله تعالى يجمع بين إيمان القلب واطمئنانه ، وبين عمل الجوارح والأعضاء . وممّا يلفت النّظر بشأن هذه الصّفة الثّالثة القول : ﴿ وعلى ربّهم ﴾ إنّ هؤلاء المؤمنين ازداد إيمانهم إلى الحدّ الّذى لا يتوكّلون معه إلاّ على ربّهم جلّ وعلا . والمعروف أنّ لفظ الرّبّ إنّما يُستَعْمَل فى القرآن الكريم تنبيهًا على جوّ الرّضا الّذى يتضوّع أريجه ، وقيام العباد بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة . إنّ هؤلاء المؤمنين يتجاوزون مستوى وجل القلوب وازدياد الإيمان إلى مستوى التّوكّل المطلق على الله تعالى الفعّال لما يريد ، القادر على كلّ شىءٍ ، مربّى عباده بالنّعم الّتى لا تُعَدّ والآلاء الّتى لا تُحْصَى .

ومن البيّن حظّ القلب الموفور من الوجل والإيمان والتّوكّل لأنّ التّوكّل على الله تعالى وإن كان يتعلّق باتّخاذ القرار فإنّ القلب هو القاعدة والمنطلق . ولمّا كانت هذه الأمور الّتى يغلب عليها حظّ القلب بحاجةٍ إلى الشّاهد والدّليل العمليّ عليها فقد تمّ ذلك فى الآية الكريمة التّالية . قال تعالى : ﴿ الّذين يقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون ﴾ .

والمراد بإقامة الصّلاة أداؤها على الوجه المطلوب بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها . والمعروف أنّ إقامة الصّلاة أهمّ أركان الإسلام فى مجال العبادات بعد الشّهادتين .

والمراد بالإنفاق ممّا رزقهم الله تعالى إيتاء الزّكاة الرّكن الثّالث من أركان الإسلام فى المقام الأوّل . والمعروف أنّ إيتاء الزّكاة أهمّ أركان الإسلام فى مجال المال والمعاملات بعد الشّهادتين . إنّ الصّلاة إذا كانت اتّجاهًا إلى الله تعالى بطريقٍ مباشر فإنّ الزّكاة اتّجاهٌ إلى الله تعالى مرورًا بالإنسان . ومن البيّن أنّ الآية الكريمة تجمع بين الصّلاة والزّكاة دليلاً على أهمّيّة هذين الرّكنين . والمعروف أنّ الجمع فى القرآن الكريم بين الصّلاة والزّكاة تمّ فيما يزيد على الثّمانين موضعًا .

ولا يقتصر الإنفاق مّما رزق الله تعالى على الزّكاة إنّما يشمل وراء ذلك كلّ صور الإنفاق ابتداءً بالإنفاق على الذّات ومن هم فى حكم الذّات وإيتاء كلّ ذى حق حقّه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وأبناء السّبيل ومن إليهم فى هيئة النفقة فى حقّ من تجب لهم النّفقة أو فى هيئة الصّدقة على من تجوز عليهم الصّدقة .

وبشأن القول : ﴿ وممّا رزقناهم ينفقون ﴾ ثمّة تنبيهٌ لعباد الله تعالى على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذى يرزق عباده فعليهم أن يقدروا هذه الحقيقة حقّ قدرها وأن يعلموا أنّ المال الّذى فى أيديهم هو فى الحقيقة مال الله تعالى الّذى جعلهم مؤتمنين عليه ومستخلفين فيه بأن يتصرّفوا فيه فى ضوء تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين ومن ذلك أنّهم فى حال الإنفاق يسلكون الطّريق الوسط بين الإسراف والبخل ، بين التّبذير والتّقتير . قال عزّ من قائل فى نعوت عباد الرّحمن فى سورة الفرقان[1] : ﴿والّذين إذا أنفقوا لم يُسْرفوا ولم يَقْتُروا كان بين ذلك قواما ﴾

وقال تعالى[2] : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملومًا محسورًا . إنّ ربّك يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر . إنّه كان بعباده خبيرًا بصيرا ﴾ .

وتبيّن الآية الكريمة التّالية المستوى الإيمانيّ الرّفيع الّذى انتهى إليه أولئك المؤمنون الّذين تحقّقت فيهم تلك النعوت ، كما تبيّن جزاءهم وثوابهم . قال تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقّا . لهم درجاتٌ عند ربّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾ .

لّما كان الإيمان اعتقادًا بالجنان (القلب) ونطقًا باللّسان ، وعملاً بالأركان (الأعضاء والجوارح) ، وكانت أهمّ النّعوت قد تحقّقت فى أولئك المؤمنين ، ولّما كان أولئك المؤمنون بشرًا غير معصومين فقد يتورّطون فى لمم الذنوب وصغارها ولكنّهم يبادرون إلى التّوبة النّصوح فإنّ الآية الكريمة تتحدّث فى ذنوب هؤلاء المؤمنين وثوابهم . أمّا الذّنوب فإنّ الله سبحانه وتعالى يتفضّل بغُفرانها فقد نصّت الآية الكريمة على أنّ لأولئك المؤمنين مغفرةً لذنوبهم .

---

(١) الآيـة ٦٧ .

(٢) سورة الإسراء ٢٩ و ٣٠

والمراد بالمغفرة ترك المؤاخذة على الذّنب وستْره . وأمّا الثّواب فإنّ الآية الكريمة تعبّر عنه بأنّه الرّزق الكريم من الرّبّ البرّ الرّحيم . وإنّ لفظة الرّزق تذكّرنا بالقول من قبل : ﴿ وممّا رزقناهم ينفقون ﴾ إنّ العباد أنفقوا من الرّزق الّذى منحهم الله تعالى إيّاه محض فضلٍ منه جلّ وعلا . وينبغى أن يكون الرّزق فى الآخرة أجلّ شأنًا وأعظم خطرًا ، خاصّةً وأنّه وُصِفَ بأنّه كريم لأنّه من ربٍّ كريمٍ جلّ وعلا .

ونستطيع أن نفهم أنّ ذلك الرّزق الكريم والثّواب العظيم يومئ إليه مثل قوله عزّ من قائل فى سورة الفرقان[1] : ﴿ إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات . وكان الله غفورًا رحيما ﴾ والمعروف أنّ ثواب الحسنة عَشْر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أكثر من ذلك كما بيّن القرآن الكريم .

ونستطيع أن نفهم أنّ الرّزق الكريم يبيّن شيئًا من معانيه هذا الحديث النّبويّ الشّريف الّذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه والّذى رواه الإمام البخاريّ فى صحيحه[2] قال رسول الله ﷺ : قال الله : أعددت لعبادى الصّالحين ما لا عينٌ رأَتْ ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ ، ولا خطر على قلب بشر . فاقرأوا إن شئتم[3] : ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعلمون ﴾

ولمّا كان منطلق حديث الآيات الكريمات الأنفال الّتى اختلف الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم بشأنها فى بدرٍ وكان حال بعضهم عدم الرّضا بل الكراهة لنزع الأنفال والغنائم من أيديهم فقد كان هذا الشّعور بالكراهة من بعضهم رغم عدم التّصريح به والإعلان فى السّياق ولكنّه معلوم ، فقد كان هذا الشّعور بالكراهة موطّئًا لتحوّل الحديث إلى كراهة فريقٍ من المؤمنين للقتال والنّفير وحرصه على القافلة والعير . وقد أشارت إلى هذا الفريق .

---

(١) الآية ٧٠ . (٢) صحيح البخاري ٤/١٤٣ .

(٣) سورة السّجدة ١٧ وقد أكملنا الآية الكريمة .

الآيتـــان رقـــم (٥ و٦)

قال تعـالى : ﴿ كما أخرجـك ربّـك مـن بيتـك بـالحقّ وإنّ فريقًـا مـن المؤمنـين لكارهون . يجادلونك فى الحقّ بعد ما تبيّن كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ .

المصدر المؤوّل : « ما أخرجك » فى محلّ جرّ بالكاف متعلّقٍ بخبر لمبتـدأٍ محـذوف تقديره الحال أو قسمتك الغنائم[١] .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ حال أولئك المؤمنين فى الكـره لـنزع الأنفـال وأخـذ الغنائم من أيديهم كحال ذلك الفريق من المؤمنين فى الكره لإخراج ربّك لـك أيّهـا الرّسول الكريم مـن بيتـك فـى المدينـة المنـوّرة متلبّسًـا بـالحقّ أو بسـبب الحـقّ الّـذى سيظهر[٢] إنّ المصطفى ﷺ قد أخرجه ربّه جلّ وعـلا مـن بيتـه بـالحقّ . وينبغـى أن يكون للخطاب فى الآية الكريمة للمصطفى ﷺ ثلاث مـرّات دورٌ فـى تثبيـت فـؤاد المصطفى ﷺ الّذى خرج من المدينة المنوّرة فى عددٍ قليلٍ من الصّحابـة رضـوان الله تعالى عليهم بقصد الاستيلاء على عير قريشٍ القادمة من الشّام بقيـادة أبـى سـفيان . وممّا يقوّى التّثبيت مجىء لفظ الرّبّ الّذى يدلّ على الخصوص وعلى جوّ المحبّة والـودّ فى القول : ﴿ ربّك ﴾ ومجىء لفظ البيت فى القول ﴿ من بيتك ﴾ لأنّ لفظ البيـت يدلّ على مأوى الإنسان باللّيل وما يرتبط باللّيل من هدوء وسكينة[٣] إنّ الرّبّ جـلّ وعلا هو الّذى أخرج المصطفى ﷺ من بيته الّذى كان فيه هادئًا آمنًا مطمئنًا ساكنًا بالحقّ المتلبّس به ، ومن أجل إحقاق الحقّ الّـذى سـوف يظهـره الله تعـالى وإزهـاق الباطل . وإذا كان حال المصطفى ﷺ التّلبّس بالحقّ حينما أخرجه ربّه جلّ وعلا من بيته بالحقّ وما يتعلّق بذلك التّلبّس بـالحق ، لأجـل إحقـاق الحـقّ وإزهـاق البـاطل ، مِـنْ

---

(١) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٥/١٥١ .

(٢) انظر الجدول فى إعـراب القـرآن وصرفـه ٥/١٥١ وجـاء فـى فتـح البـارى ٦/٢٨٨ أنّ هـذا الموقف كان بعد سيرهم من المدينة يومًا أو يومين والعلم بنجاة العير واستعداد قريش للنّفير .

(٣) انظر مثلاً ــ مفردات الرّاغب الأصفهانى : « بيت » ٦٤ .

رضًا فى القلب عامر ، وابتهاجٍ فى النّفس غامر ، فإنّ فريقًا من المؤمنين لكارهون الخروج من أجل القتال ، فقد كانوا محبّين لقاء القافلة بقيادة أبى سفيان والاستيلاء عليها لقلّة حماة القافلة فقد كان فيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون[١]

من البيّن أنّ خروج المصطفى ﷺ من بيته كان بالحقّ المصاحب له ، ومن أجل الحقّ غايته . وكانت وسيلة إظهار الحقّ قتال المشركين الّذى عبّرت عنه الآية الكريمة التّالية بالحقّ .

ومن البيّن أنّ الفريق من المؤمنين كان كارهًا للقتال بعد ما تبيّن القتال وتأكّد ، وبعد ما ثبت نجاة العير بقيادة أبى سفيان . لقد أومأت الآية الكريمة إلى هذا النّوع من الكره دون التّصريح بسببه فى القول : ﴿ وإنّ فريقًا من المؤمنين لكارهون ﴾ وقد صرّحت بهذا السّبب الآية الكريمة التّالية . قال تعالى : ﴿ يجادلونك فى الحقّ بعد ما تبيّن كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ الجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله[٢] وفى الإمكان أن نتبيّن الباعث على مجادلة هذا الفريق المصطفى ﷺ رغبةً عن القتال ورغبةً فى القافلة حينما نقف على مثل هذا النّصّ الّذى رواه ابن إسحاق : « قالوا : لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشّام ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلكموها . فانتدب النّاس فخفّ بعضهم وثقل بعضهم . وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حَرْبًا »[٣] ثمّ إنّ المصطفى ﷺ قد قال لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : « فإنّ الله تعالى قد وعدنى إحدى الطّائفتين »[٤] والطّائفة الأولى القافلة والعير ، والطّائفة الأخرى القتال والنّفير .

---

(١) السّيرة النّبويّة لابن هشام « حلبى » ٦٠٦/١ وانظر فتح البارى ٢٨٦/٧ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « جدل » ٨٩ .
(٣) السّيرة النّبويّة لابن هشام ٦٠٦/١ و٦٦٧ .
(٤) السّيرة النّبويّة لابن هشام ٦١٥/١ .

إنّ هذا الفريق من المؤمنين الّذى خرج من المدينة المنوّرة إلى بدر بباعث الاستيلاء على القافلة والعير ولم يكن قد هيّأ نفسه للقتال والنّفير يجادل المصطفى ﷺ وينازعه فى الطّائفة الأخرى الّتى لم يبق سواها وهي القتال والنّفير بعد نجاة القافلة والعير . واللّطيف فى الأمر أنّ الآية الكريمة تعبّر عن القتال بالحقّ . ﴿ يجادلونك فى الحقّ بعد ما تبيّن ﴾ إنّ الحقّ قد تبيّن ، والقتال قد تأكّد : « قال ابن إسحاق : ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجّاها الله فارجعوا »(١) .

لقد كان هذا الفريق من المؤمنين متّجهًا بكلّ اهتماماته إلى القافلة والعير لأنّ كلّ الملابسات الظّاهرة توحى بأنّ العير من نصيبهم خاصّةً وأنّ المصطفى ﷺ أكّد هذا المعنى فى نفوس هذا الفريق بقوله عليه الصّلاة والسّلام بأنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطّائفتين . وإنّ الأمور بإرادة الله تعالى قد انقلبت رأسًا على عقب بنجاة العير وثبوت النّفير . لقد عبّرت الآية الكريمة عن الوقع العنيف للمفاجأة على نفوس هذا الفريق بالقول : ﴿ كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ إنّ حال هذا الفريق كحال أولئك الّذين تسوقهم قوّةٌ غالبةٌ لهم قاهرةٌ عليهم راسفين فى قيودهم وأغلالهم كي يُقْتَلوا صبْرًا فهم وقد حضرتهم أسباب الموت فى حكم من يرى الموت فعلاً بعينيه اللّتين فى رأسه .

وثمّة مسألةٌ غايةٌ فى الأهمّيّة ينبغى التنويه بها وهي أنّ من أسباب هجوم هذا النّوع من الشّعور البائس على هذا الفريق من المؤمنين ما تأكّد لهم من قلّتهم وذلّتهم بالقياس إلى المشركين . إنّ المسلمين خرجوا من المدينة المنوّرة من أجل العير . وإنّ المشركين خرجوا من مكّة المكرمة من أجل النّفير . لقد كان للباعث على كلٍّ من الخروجين أثرٌ على كلٍّ من العدد والعدّة لدى الفريقين . وإنّ هذا النّوع من الشّعور

(١) السّيرة النّبويّة لابن هشام ٦١٨/١ .

سُرْعان ما تبدّد وحلّ محلّه الرّغبة الصّادقة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى والاستعداد لبذل كلّ نفسٍ ونفيس ذبّاً عن بيضة الإسلام بقيادة خير الأنام ﷺ .

والآيتان الكريمتان التّاليتان تشيران إلى ما يودّه ذلك الفريق من المؤمنين وما يريده تبارك وتعالى ذو الجلال والإكرام وهاتان هما

الآيتـــان رقـــم (٧ و٨)

قال تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطّائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشّوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾

تخاطب الآية الكريمة الأولى المصطفى ﷺ والمؤمنين بالقول : ﴿ وإذ يعدكم الله تعالى إحدى الطّائفتين أنّها لكم ﴾ والمعنى ، واذكر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم إذ يعدكم الله تعالى أيّها المؤمنون ، ووعد الله تعالى الحقّ وقوله الصّدق ﴿ إحدى الطّائفتين أنّها لكم ﴾ وإحدى الطّائفتين القافلة والعير ، وأخرى الطّائفتين القتال والنّفير . ومن البيّن أنّ ربّ العزّة وعد ووعده جلّ وعلا الحقّ وذلك بالإيحاء إلى حبيبه ﷺ أنّ إحدى الطّائفتين فقط ، العير أو النّفير ستكون من نصيب المؤمنين ، دون تعيين لتلك الطّائفة على جهة التحديد .

ولمّا كان المؤمنون إنّما كان الباعث لهم على الخروج من المدينة المنورة إلى بدرٍ هو القافلة أو العير ولهذا كان قليلاً كلٌّ من عَددهم وعُدّتهم وقد قوّى من هذا الباعث الوعد من الله تعالى على لسان حبيبه ﷺ بأنّ إحدى الطّائفتين ستكون من نصيب المؤمنين لذا كان من الطّبيعيّ أن يختار المؤمنون القافلة ويؤثروا العير على القتال والنّفير . وقد عبّرت الآية الكريمة عن هذه الرّغبة القويّة بالقول : ﴿ وتودّون أنّ غير ذات الشّوكة تكون لكم ﴾ والشّوك ما يدقّ ويصلب رأسه من النّبات .

ويُعَبّر بالشّوك والشّكّة عن السّلاح والشّدّة[1] والشّوك جمع الشّوكة . والمعنى أنّكم أيّها المؤمنون تودّون طائفة غَيْرِ ذات الشّوكة وحدّ السّلاح أنّها لكم ومن نصيبكم ، وهذه الطّائفة هي القافلة والعير .

وفى مقابل ودّ المؤمنين القافلة والعير يريد الله تعالى عزّ وجلّ أن يحقّ الحقّ بكلماته جلّ وعلا التّامات الموحى بها إلى الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم فى مثل قول الحقّ جلّ وعلا[2] : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنّهم لهم المنصورون . وإنّ جندنا لهم الغالبون ﴾ كما يريد الله تعالى عزّ وجلّ أن يقطع دابر الكافرين ، ويهلك آخرهم[3] ومن باب الأولى أوّلهم ، ويستأصل شأفتهم . وإنّما يكون قطع دابر الكافرين عن طريق قتالهم وهزيمتهم بإذن الله تعالى ووضع أنوفهم فى الرّغام . إنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون من نصيب المؤمنين الشّوكة والقتال ، والانتصار على المشركين وهي الطّائفة الأخرى الّتى لم يودّها المؤمنون والّتى كان فيها الخير كلّ الخير ، لأنّهم بانتصارهم على المشركين حازوا على الغنائم ، وهي أموالٌ ذات علاقةٍ على نحوٍ من الأنحاء بأموال القافلة والعير . وكأنّ الطّائفة الّتى أرادها الله تعالى للمؤمنين قد أضيف لها بطريقٍ غير مباشر الطّائفة الأخرى الّتى ودّها المؤمنون وحرصوا عليها .

وتبيّن الآية الكريمة التّالية الحكمة من قطع الله تعالى دابر الكافرين . قال تعالى : ﴿ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى أراد بقطع دابر الكافرين أن يحقّ الحقّ ويؤيّده بنصر المؤمنين جند الله تعالى ، وأن يبطل الباطل ويزهقه بدحر الكافرين جند الشّيطان الرّجيم ولو كره المجرمون الكافرون ومن لفّ لفّهم هذا النّصر المبين للمؤمنين والخزي المبين للكافرين .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « شوك » ٢٧١ وفتح البارى ٢٨٦/٧ .
(٢) سورة الصّافات ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : « دبر » ١٦٥ .

ومن البيّن أنّ الحقّ فى الآية الكريمة الأولى : ﴿ ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ﴾ ذو علاقةٍ بكلمات الله تعالى التّامّات وآياته جلّ وعلا البيّنات . وهذا الجانب نظريّ ، وأنّ الحقّ فى الآية الكريمة الثّانية : ﴿ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ﴾ ذو علاقة بالقتال وبالجهاد فى سبيل الله تعالى . وهذا الجانب عمليّ أو تطبيقيّ . وكأنّ لسان حال الآيتين الكريمتين يقول إنّ الجانب النّظريّ وحده من الحقّ لا يكفى لأنّ الخصوم لن يتركوا الحقّ وشأنه ، بل لابدّ من أن يقترن بهذا الجانب النّظريّ جانبٌ عمليّ وتطبيقيّ هو الجهاد فى سبيل الله تعالى بالنّفس والنّفيس ، فعلى المسلمين أن يعدّوا لأعداء الله تعالى ما استطاعوا من قوّةٍ لإرهاب عدوّ الله تعالى وعدوّهم ، وإنّ للمسلمين أسوةً حسنةً فى المصطفى ﷺ بطل الأبطال وسيّد الرّجال . والمعروف أنّ سنّة المصطفى ﷺ هي المبيّنة للقرآن الكريم .

ممّا سبق يتبيّن أنّ المسلمين بحاجةٍ إلى نوعين من الجيوش . جيش الكلمة والقَلَم ، وجيش اللّكْمةِ والعَلَم .

[٢]

« استغاثة المؤمنين ربّهم وإمدادهم بالملائكة فى بَدْر »

الآيـــات (٩ ــ ١٤)

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

بيّن السّياق من ذى قبل أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل جلّ وعلا . ويقرّر السّياق هنا ــ وفق الرّأي الّذى يعلّق إذ بالقول : ﴿ ويبطل الباطل ﴾ ــ يقرّر أنّ الله تعالى يبطل الباطل إذ تستغيثون ربّكم أيّها المؤمنون قبل غزوة بدرٍ فأجاب دعاءكم بأنّى ممدّكم بألفٍ من الملائكة يردف بعضهم بعضًا ويتبع بعضهم بعضًا . والمعروف أنّ العدد ارتفع إلى ثلاثة آلافٍ فخمسة آلاف . وما جعل الله تعالى الإمداد إلاّ بشارةً لكم بالنّصر ولتطمئنّ به قلوبكم أيّها المؤمنون . وما النّصر إلاّ من عند الله تعالى . إنّه جلّ وعلا عزيزٌ فى ملكه حكيمٌ فى صنعه . وقد لفت نظرنا فى مجال التّأكيد لإجابة الله تعالى طلب

المؤمنين الغوث من ربّهم جلّ وعلا ، وكأنّهم الأرض العَطْشَى الّتى تنتظر الغيث ، إطلاق لفظ البشرى فى الآية الكريمة بمعنى البشارة ، وتقدّم الجارّ والمجرور : « به » على : « قلوبكم » فبالإمداد بالملائكة تطمئنّ تلك القلوب ، والتّأكيد فى التّذييل : ﴿ إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾ وإنّ قلوب المؤمنين تطمئنّ بالإمداد بالملائكة إذ يغشّى ربّ العزّة ويلقى على المؤمنين النّعاس أمانًا منه جلّ وعلا ، وإذ ينزّل عليهم من السّماء ماءً مباركًا ليطهّرهم جلّ وعلا به من الحدثين الأكبر والأصغر ، وليذهب جلّ وعلا عنهم وسوسة الشّيطان وقوله إنّ المشركين عندهم ماء وأنتم أيّها المؤمنون ليس عندكم ماءٌ تتطهّرون به وتتوضّأون به وتستعملون له ، وليربط على قلوبكم ويقوّيها على القتال ، ويثبّت بالماء الطّشّ الضّعيف فى حقّكم الأرض الرّمليّة الهشّة الّتى تلبّدت بالماء . والمعروف أنّ المطر بقدر ما كان نعمةً على المؤمنين كان نقمةً على الكافرين الّذين كانوا فى العدوة القصوى من الوادى والجانب البعيد من المدينة والمكان المرتفع الّذى أصبح زَلقًا بفعل المطر فلا يثبت عليه قدمٌ ولا حافر . وهذه التّقوية للقلوب والتّثبيت للأقدام فى الميدان أعقبهما التّثبيت من الملائكة للمؤمنين إذ يوحى ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبي العظيم إلى الملائكة أنّى معكم بالنّصر والتّأييد فثبّتوا الّذين آمنوا . وفى مقابل تثبيت الله تعالى المؤمنين حسّاً ومعنًى خِذْلانه جلّ وعلا الكافرين وقذف الرّعب وهو أشدّ الخوف فى قلوبهم . إنّ على المؤمنين أن يجهزوا على المشركين بقطع رقابهم وحزّ رءوسهم ، وأنّ يُقْعِدوا من لم يمت عن العمل والحركة بضرب أيديهم وأرجلهم وأطرافهم وبترها . إنّ هذا العقاب فى الدّنيا بسبب أنّهم خالفوا الله تعالى ورسوله ﷺ وكانوا فى شقٍّ غير الشّقّ الّذى فيه المؤمنون بقيادة المصطفى ﷺ رسول ربّ العالمين . إنّه من يشاقق الله تعالى ورسوله عليه الصّلاة والسّلام ينل العذاب من الله تعالى الشّديد العذاب والعقاب . إنّ على الكافرين أن يذوقوا هذه الكمّيّة الضّئيلة من عذاب الدّنيا الّذى لا يقاس بعذاب الكافرين يوم القيامة فى النّار وبئس القرار .

الآيتــان رقــم (٩ و ١٠)

قال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّى ممدّكم بألفٍ مـن الملائكـة مردِفين . وما جعله الله إلاّ بُشْرَى ولتطمئنّ به قلوبكـم . ومـا النّصر إلاّ مـن عنـد الله . إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾

روى الإمام أحمد عن ابن عبّاس أنّ عمر بـن الخطّاب رضي الله عنه قـال : لمّا كان يوم بدر نظر النّبيّ ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائـة ونيّـف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألفٌ وزيادة ، فاستقبل النّبيّ ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثمّ قـال : اللّهـمّ أنجز لى ما وعدتنى . اللّهمّ إن تهلك هذه العصابـة مـن أهـل الإسـلام فـلا تُعْبَد فـى الأرض أبدا . قال : فما زال يستغيث ربّـه ويدعـوه حتّى سـقط رداؤه عـن منكبيـه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّاه ثـمّ التزمـه مـن ورائـه ثـمّ قـال : يـا نبيّ الله كفـاك مناشدتك ربّك فإنّه سينجز لك وعدك . فأنزل الله عزّ وجلّ[١] الآية الكريمة . وقـد خفق (نام نومًا يسيرًا) خفقةً وهو فى العريش ثمّ انتبه فقال : أبْشِرْ يا أبا بكر أتـاك نصر الله . هذا جبريل آخذٌ بعِنـان فـرسٍ يقـوده ، على ثنايـاه النّقـع[٢] . وجـاء فـى صحيح البخارى[٣] عن ابن عبّاس قال : قال النّبيّ ﷺ يوم بدر : اللّهـمّ إنى أَنْشُـدُك عهدك ووعدك[٤] اللّهـمّ إن شئت لم تُعْبَدَ . فأخذ أبـو بكـر بيـده فقـال : حسـبك . فخرج[٥] وهو يقول : ﴿ سيُهْزَم الجمع ويولّون الدّبر ﴾ .

عرفنا أنّ المصطفى ﷺ خرج من المدينة المنـوّرة مـن أجـل الاسـتيلاء علـى قافلـة قريش التّجاريّة القادمة من الشّام بقيادة أبـى سـفيان ، فمـا أكـثر المـال الّـذى أرغـم

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٨٩/٢ .
(٢) السّيرة النّبويّة ٦٢٧/١ والثّنايا أسنان مقدّم الفم . ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . والنّقع الغبار .
(٣) فتح البارى ٧ / ٢٨٧ حديث رقم ٣٩٥٣ .
(٤) أنشدك بفتح الهمزة وسكون النون والمعجمة وضمّ الدّال أي أطلب منك . فتح البارى ٢٨٩/٧ .
(٥) فخرج من العريش وهو شبه الخيمة يستظلّ به وقد اقترح بناءه سعد بن معاذ رضي الله عنـه . انظر السّيرة النّبويّة ٦٢٠/١ والآية ٤٥ من سورة القمر .

المشركون المسلمين على تركه بمكّة المكرّمة من أجل الهجرة ، وقد استولى المشركون على كلّ ذلك المال . وممّا جاء فى الإيماء إلى ذلك قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة الحشر[١] : ﴿ للفقراء المهاجرين الّذين أُخرِجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصّادقون ﴾ وبعد أن سار المصطفى ﷺ والمسلمون يومًا أو يومين أخبر المصطفى ﷺ المسلمين أنّ قريشًا قد بلغها خبر خروج المسلمين وأنّهم استعدّوا للقتال فقال المسلمون أوّل الأمر : لا والله مالنا طاقةٌ بقتال القوم[٢] .

ولمّا كان ربّ العزّة قد وعد المسلمين ، ووعده الحقّ ، إحدى الطّائفتين أنّها تكون لهم ، فقد ثبّت الله تعالى المؤمنين بعد ذلك على القتال وكان من المهاجرين والأنصار القول المشجّع على القتال والموقف المشرّف . وإلى الوعد بإحدى الطّائفتين جاء قول الحقّ جلّ وعلا[٣] : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطّائفتين أنّها لكم ﴾ والمعنى : واذكر يا محمّد إذ يعدكم الله . ولمّا كان المسلمون ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً[٤] وعدد المشركين ألف رجل[٥] فقد كان من المصطفى ﷺ ومن المؤمنين طلب الغوث منه جلّ وعلا بالنّصر على الكافرين . وإلى هذا الطّلب أشارت الآية الكريمة الأولى الّتى نحن بصدد الحديث عنها .

ويصحّ أن تكون إذ فى القول : ﴿ إذ تستغيثون ربّكم ﴾ بدلاً من إذ فى القول : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطّائفتين أنّها لكم ﴾[٦] ويصحّ أن تكون إذ صلة يبطل[٧] فى الآية الكريمة السّابقة . والمعنى وفق هذا الرّأي الآخر : ويبطل الباطل إذ تستغيثون ربّكم جلّ وعلا ، وتطلبون منه الغوث[٨] فأجاب دعاءكم[٩] بأنّى ممدّكم

---

(١) الآية ٨ . (٢) فتح البارى ٢٨٨/٧ . (٣) سورة الأنفال ٧ .
(٤) انظر فتح البارى ٢٩١/٧ و٢٩٢ وصحيح مسلم ٨٤/١٢ .
(٥) انظر السّيرة النّبويّة ٦١٧/١ وفتح البارى ٢٩٢/٧ وتفسير ابن كثير ٢٨٧/٢ .
(٦) انظر الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٥٥/٥ . (٧) انظر تفسير الطّبري ١٢٦/٩ .
(٨) الجلالين . (٩) تفسير الطّبري ١٢٧/٩ .

بألفٍ من الملائكة يردف بعضهم بعضًا ويتلو بعضهم بعضًا[١] متتابعين[٢] .

والمعروف أنّ هذا الإمداد بالملائكة ارتفع إلى ثلاثة آلاف ثمّ إلى خمسة آلاف . قال تعالى في سورة آل عمران[٣] : ﴿ ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّةٌ فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين . بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوّمين . وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النّصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ﴾[٤] .

ومن البيّن وجه الشّبه الكبير بين الآية الكريمة الأخيرة هنا من سورة آل عمران وبين الآية الكريمة الثّانية في هذا القسم من سورة الأنفال . قال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى ولتطمئنّ به قلوبكم . وما النّصر إلاّ من عند الله . إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾

ومن المعروف أنّ سورة الأنفال تتحدّث في غزوة بدرٍ أساسًا وأنّ سورة آل عمران تتحدّث في غزوة أحد أساسًا . ولمّا كانت غزوة بدرٍ قد حدثت في السّنة الثّانية من الهجرة في حين حدثت غزوة أحد في السّنة الثّالثة من الهجرة فقد كانت يوم السّبت الخامس عشر من شهر شوّال سنة ثلاثٍ من الهجرة على رأس أحدٍ وثلاثين شهرًا من الهجرة[٥] فذلك معناه أنّ آية سورة الأنفال تسبق نزولاً آية سورة آل عمران . وإنّه بالمقارنة بين الآيتين الكريمتين تتّضح جوانب الاختلاف الّتي يصحّ الحديث عنها من هذه الزّاوية .

هذه هي آية سورة الأنفال السّابقة نزولاً . قال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلاّ بُشْرَى ولتطمئن به قلوبكم . وما النّصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾ وهذه هي آية سورة آل عمران اللاّحقة نزولاً . قال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به . وما النّصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ﴾ وهذه هي جوانب الاختلاف .

---

(١) تفسير الطّبري ٩/١٢٧ . (٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٠ . (٣) الآيات ١٢٣-١٢٦ .
(٤) درسنا الآيات الكريمات في : تأمّلات في سورة آل عمران ٣٨١ - ٣٨٦ .
(٥) تفسير ابن عطيّة ٣/٢٩٦ .

جاء فى سورة الأنفال القول : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى ﴾ وجاء فى آية سورة آل عمران القول : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ﴾ .

وجاء فى آية سورة الأنفال القول : ﴿ ولتطمئن به قلوبكم ﴾ وجاء فى آية سورة آل عمران القول : ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ .

وجاء فى آية سورة الأنفال القول : ﴿ وما النّصر إلاّ من عند الله . إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾ وجاء فى آية سورة آل عمران القول : ﴿ وما النّصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ﴾ .

ومن البيّن أنّ المقارنة بين الآيتين الكريمتين ستنطلق من كون آية سورة الأنفال هي السّابقة نزولاً .

وأوّل ما يلاحظ أنّ لفظة : ﴿ بشرى ﴾ أي بشارة[1] جاءت فى آية سورة الأنفال مطلقة : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى ﴾ فالإمداد بالألف من الملائكة ما جعله الله تعالى إلاّ بشرى . ومعروفٌ أنّ البشرى للمؤمنين ، فإنّ الحديث يتعلّق بالمؤمنين وحدهم . أمّا فى آية سورة آل عمران فقد جاء بعد البشرى الجارّ والمجرور : ﴿ لكم ﴾ وكان ذلك مرشّحًا لمجيء الجار والمجرور ﴿ به ﴾ بعد القلوب كي يتحقّق التّوافق بين موضعي الجار والمجرور . قال تعالى : ﴿ وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به ﴾ .

وإنّ الحديث عن تأخّر الجارّ والمجرور فى الموضعين من آية سورة آل عمران حاملٌ لنا على الحديث عن تقدّم الجارّ والمجرور : ﴿ به ﴾ على القلوب فى آية سورة الأنفال وعلى محاولة التّنبيه على الحكمة من التّقديم فى هذه الفترة الزّمنيّة المتقدّمة وفى ذلك تنبيه على الحكمة من التّأخير للجارّ والمجرور فى الموضعين من آية سورة آل عمران الّتى نزلت فى فترةٍ زمنيّةٍ متأخّرة .

لقد عرفنا الموقف العصيب الّذى كان فيه المسلمون بقيادة المصطفى ﷺ فى بدر . لقد كانوا بنصّ القرآن الكريم أذلّة وذلك بسبب القلّة ، سواءٌ فى العدد أو فى

---

(١) تفسير الطّبري ٩/١٢٩ .

العُدّة. ولّما كانت غزوة بدر أولى المعارك الّتى تَنْشَبُ بين المؤمنين والكافرين فإنّ لتلك المعركة ولذلك اليوم ما بعدهما . إنّ انتصار المسلمين فى يوم بدرٍ بإذن الله تعالى مؤشرٌ خليقٌ به أن يدلّ على أنّ هذا النّوع من الانتصار ملازمٌ للمسلمين بفضل الله تعالى فى كلّ معاركهم مع الباطل حتّى وإن كان للباطل جولةٌ أو بعض الجولات فى بعض مراحل الصّراع . ولّما كان المؤمنون فى بدرٍ أشدّ النّاس حاجةً للعون من الله تعالى أوّلاً ومن عباد الله تعالى آخراً ، ولّما كان إنزال الاطمئنان والسّكينة فى قلوب المؤمنين من أهمّ المبشّرات بالنّصر والدّلائل عليه ، ولّما كان الاطمئنان مكانه القلوب فقد جاء بعد الجملة الّتى تشير إلى الاطمئنان : ﴿ ولتطمئنّ ﴾ الجارّ والمجرور : ﴿ به ﴾ مباشرةً تنبيهًا إلى كون الاطمئنان هو الّذى تنتظره القلوب الحاضرة الفارغة المحتاجة لأن يصل إليها ويتمكّن منها ويملأها . إنّ تقديم الجارّ والمجرور: ﴿ به ﴾ فى القول : ﴿ ولتطمئنّ به قلوبكم ﴾ أوحى بكلّ هذه المعانى ونبّه إلى شديد الحاجة إلى الاطمئنان الفوريّ الّذى مكانه القلب الموجود دائمًا وأبدًا .

وإذا كان تقديم الجارّ والمجرور : ﴿ به ﴾ منسجمًا مع الفترة الزّمنيّة المتقدّمة وشديد الحاجة الفعليّة للاطمئنان فإنّ تأخّر الجارّ والمجرور فى الموضعين من آية سورة آل عمران الّتى جاءت فى أثناء الآيات الكريمات الّتى تتحدّث عن غزوة أحد المتأخّرة زمنًا منسجمٌ هو الآخر مع الفترة الزّمنيّة المتأخّرة . إنّ آية سورة آل عمران تتحدّث عن بشرى واطمئنان بَعُدَ العهد بهما . وقد نبّه تأخّر الجارّين والمجرورين على ذلك البعد الزّمنّي .

وممّا يتمشّى مع شديد حاجة المسلمين إلى الغوث من الله تعالى العزيز الحكيم فى هيئة البشرى والاطمئنان الإشارة فى تذييل آية سورة الأنفال فى صيغة التّوكيد إلى عزّة الله تعالى وحكمته ، وقد مُهّد لذلك بتقرير الحقيقة من كون النّصر من عند الله تعالى وحده لا شريك له . قال تعالى : ﴿ وما النّصر إلاّ من عند الله . إنّ الله عزيز حكيم ﴾ إنّ الله تعالى عزيزٌ فى ملكه حكيمٌ فى صنعه وتدبيره . وإذا كان التّوكيد فى آية سورة الأنفال منسجمًا مع فورة الحاجة من المسلمين للغوث من الله

تعالى فى بدر فإنّ عدم وجود التّوكيد فى آية سورة آل عمران منسجمٌ مع تأخّر الجارّ والمجرور فى الموضعين . إنّ كلّ ذلك منبّه على أنّ الحديث هنا عن أمورٍ بَعُدَ العهد بها حتّى إنّ المسلمين فى أحد بسبب عنف الصّدمة للهزيمة للحدّ الّذى كادوا ينسون معه أحد شطري الإيمان وهو الصّبر كانوا بحاجةٍ إلى تذكيرهم بآخر شطري الإيمان وهو الشّكر من أجل إعادة التّوازن إلى نفوس المسلمين الّذين ذهبت بهم الهزيمة أقصى الشّمال . إنّ تذكيرهم بواجب الشّكر لله تعالى على الصّبر فى بدرٍ وهم أذلّة ، ذلك النّصر الّذى كادوا ينسونه بفعل الهزيمة ، وإنّ التّنبيه إلى البشرى فى النّفوس والاطمئنان فى القلوب حمل كلّ ذلك المسلمين من أقصى الشّمال إلى أقصى اليمين من أجل إعادة المؤمنين إلى التّوازن . لقد نبّه تأخير الجارّ والمجرور فى الموضعين من آية سورة آل عمران وعدم مجيء التّوكيد فى التّذييل إلى بعد العهد بتلك الأمور ، لذا كان الأسلوب فى آية سورة آل عمران أقرب إلى كونه تقريريًا . والله تعالى أعلم[1] .

وإذا كان القول : ﴿ إذ تستغيثون ربّكم ﴾ متعلّقًا بالقول قبل ذلك : ﴿ ويبطل الباطل ﴾ وفق بعض الآراء فإنّ القول : ﴿ إذ يغشّيكم النّعاس ﴾ فى أوّل الآية الكريمة التّالية متعلّقٌ بالقول فى هذه الآية الكريمة : ﴿ ولتطمئنّ به قلوبكم ﴾ فإلى .

الآيـــة رقـــم (١١)

قال تعالى : ﴿ إذ يغشّيكم النّعاس أَمَنةً منه وينزّل عليكم من السّماء ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشّيطان وليَرْبط على قلوبكم ويثبّت به الأقدام ﴾ . إنّ ربّ العزّة يغشّى المؤمنين ليلة المعركة فى بدرٍ النّعاس ويلقيه عليهم[2] أَمَنةً منه جلّ وعلا ، وأمانًا وأمنا[3] ومن البيّن جمال الجناس النّاقص فى القول : ﴿ أَمَنةً

---

(١) انظر هنا ـ مثلاً ـ نظم الدّرر ٨/٢٣٢ ـ ٢٣٤ .
(٢و٣) تفسير الطّبري ٩/١٢٩ .

منه ﴾ عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنّه قال : النّعاس فى القتال أمنةٌ من الله ، وفى الصّلاة من الشّيطان . وقال قتادة : النّعاس فى الرّأس ، والنّوم فى القلب[١] عن عليّ رضى الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد . ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم إلاّ رسول الله ﷺ يصلّى تحت شجرةٍ ويبكى حتّى أصبح[٢] وكما ألقى الله تعالى النّعاس على المؤمنين فى بدرٍ قبل المعركة ألقاه عليهم فى أُحُدٍ بعد المعركة . قال عزّ من قائل[٣] : ﴿ إذ تُصْعِدون ولا تلوون على أَحَدٍ والرّسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غمًّا بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم . والله خبيرٌ بما تعلمون . ثمّ أنزل عليكم من بعد الغمّ أَمَنَةً نعاسًا يَغْشَى طائفةً منكم ﴾

ونستطيع أن نفهم أنّ النّعاس فى بدرٍ شمل كلّ المؤمنين وليس طائفةً منهم فقط كما حدث فى أُحُد .

وممّا قوّى الشّعور بالاطمئنان والأمن بسبب النّعاس المطر الّذى أنزله الله تعالى ليلة المعركة وقبل النّعاس[٤] وكان ذلك المطر نعمةً فى حقّ المؤمنين نقمةً فى حقّ الكافرين . وتفسير ذلك أنّ المؤمنين الّذين بالعدوة الدّنيا من الوادى وشفيره الأدنى إلى المدينة وجانبه كانت أرضهم رمليّةً منبسطة يصعب حركتهم عليها وحركة دوابّهم لولا فضل الله تعالى عليهم بالمطر الّذى نزل عليهم بالقدر الّذى انتفعوا به ولبّد الأرض من أجلهم وجعل حركتهم سهلةً ميسّرة . ومن هنا كان المطر بإرادة الله تعالى نعمةً فى حقّ المؤمنين . وإنّما كان المطر نقمةً فى حقّ الكافرين الّذين كانوا بالعدوة القصوى من الوادى وشفيره الأبعد من المدينة وجانبه لأنّ أرضهم جبليّة مرتفعة حينما نزل عليها الماء الغزير الضّارّ بإرادة الله جعل الأرض المنحدرة زَلِقَة لا يثبت عليها قدمٌ ولا حافر . وبهذا يكون الماء النّازل من السماء نعمةً فى حقّ المؤمنين من جوانب عدّة نصّ عليها السّياق ويكون نقمةً فى حقّ الكافرين .

(١و٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٩١ .
(٣) سورة آل عمران ١٥٣، ١٥٤ .
(٤) انظر — مثلاً — تفسير ابن كثير ٢/٢٩٢ .

إنّ الآية الكريمة بعد أن تذكر النّعاس الّذى ألقاه الله تعالى على المؤمنين والحكمة منه تذكر المطر الّذى أنزله الله تعالى من المزن والماء الّذى أنزله الله تعالى من السّماء . والّذى يلفت النّظر مجيء جملة ﴿ يغشّيكم ﴾ وجملة : ﴿ ينزّل ﴾ فى صيغة الزّمن المضارع الّذى يفيد الاستمرار والتّجدّد .

وكما كان من ربّ الأنام الأمن بفعل النّعاس والطّمأنينة ومحلّ كلّ ذلك القلب وهو داخليّ كان من ربّ الأنام بفعل الماء النّازل من السّماء مزيد اطمئنانٍ وأمان . إنّ الماء طهّر بفضل الله تعالى المؤمنين من الحدثين الأكبر والأصغر وارتووا منه وادّخروا . ومن البيّن أثر طهارة الظّاهر على طمأنينة القلب وشعوره العميق بالأمن والأمان . وحينما تطهّر المؤمنون بالماء الّذى أنزله الله عليهم من السّماء بقدر أذهب جلّ وعلا عنهم رجز الشّيطان الرّجيم ووسوسته[1] من كونهم مجنبين وليس عندهم ماءٌ ليتطهّروا به ويتوضئوا ، ومن كون المشركين عندهم الماء وليس عند المؤمنين . وممّا يلاحظ مجيء حرف الجرّ : ﴿ على ﴾ الدّالّ على الاستعلاء وعدم الاستغناء عنه مع إمكان ذلك دليلاً على كون تنزيل الماء من السّماء كان رحمةً فى حقّ المؤمنين وذلك فى القول : ﴿ وينزّل عليكم ﴾ وحينما نفهم أنّ جملة نزّل تفيد نزول الشّيء مفرّقًا كنزول القرآن الكريم ، وأنّ جملة أنزل تفيد نزول الشّيء جملةً واحدةً كنزول التّوراة والإنجيل ، يصحّ أن نفهم مزيد الفضل من الله تعالى والرّحمة من مجيء جملة ﴿ ينزّل ﴾ فى حقّ الماء النّازل على المؤمنين ليلة بدر .

وإنّ طهارة ظاهر المؤمنين بالاغتسال والوضوء وهي من أجل طهارة الباطن بإقام الصّلاة الّتى من أهمّ متعلّقاتها الخشوع وهو مزيجٌ من الحبّ لله تعالى والخوف منه جلّ وعلا إنّ طهارة الظّاهر الّتى لها كلّ ذلك الأثر فى اطمئنان القلوب رشّحت الحديث الآية عن ربط الله تعالى على قلوب المؤمنين حينما التقى الجمعان يوم الفرقان . والرّبط على القلوب بمعنى تقويتها[2] وتثبيتها[3] قال تعالى : ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ .

---

(١) تفسير الطّبري ٩/١٣١ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « ربط » ١٨٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٩/١٣٠ .

وإذا كان الرّبط على القلوب وتثبيتها ثمرةً للطّهارة بالماء وذهاب وسوسة الشّيطان فإنّ لإنزال الماء من السّماء على الأرض الهشّة والرّملة الرّخوة بقدر أثرًا حسيًّا في مجال التّثبيت وراء تثبيت القلوب ، وقد عبّرت عنه الآية الكريمة بالقول : ﴿ ويثبّت به الأقدام ﴾

وممّا يلاحظ بشأن آثار إنزال الماء من السّماء الجمع في التّقديم بين التّطهير بالماء والرّبط على القلوب ، والجمع في التّأخير بين الشّيطان والأقدام . قال تعالى : ﴿ إذ يغشّيكم النّعاس أمَنَةً منه وينزّل عليكم من السّماء ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشّيطان وليربط على قلوبكم ويثبّت به الأقدام ﴾ وقد جاءت لام التّعليل مع التقديم وحده في الموضعين .

وإنّ إنزال الأمان على المؤمنين بإلقاء النّعاس عليهم والرّبط على قلوبهم وتثبيت أقدامهم بإنزال الماء عليهم اقترن به الإيحاء للملائكة بتثبيت المؤمنين في الميدان . وإلى هذا المعنى أشارت .

الآيات رقم (١٢ ـــ ١٤)

قال تعالى : ﴿ إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا . سألقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان . ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله . ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب . ذلكم فذوقوه وأنّ للكافرين عذابَ النّار ﴾

نستطيع أن نتبيّن ببساطةٍ العلاقة المعنويّة بين آخر الآية الكريمة : ﴿ ويثبّت به الأقدام ﴾ وبين صدر الآية الكريمة الأولى هنا : ﴿ إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبتوا الّذين آمنوا ﴾ إنّ المطر إذا كان قد ثبّت بإرادة الله تعالى الأقدام حسيًّا في ميدان المعركة فقد أصبحت الرّملة بعد أن أصابها من اللّيل طشّ[1] أي مطرٌ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٢ .

ضعيف ، مسعفةً على الحركة والانتقال ، الكرّ والفرّ ، فإنّ هذا النّوع من التّثبيت قد اقترن به تثبيتٌ آخر أشار إليه صدر الآية الكريمة الأولى هنا ، وأشار إليه من قبل الوعد من الله تعالى بالإمداد بالألف من الملائكة . والمعروف أنّ هذا الوعد بالإمداد ارتفع فى آية سورة آل عمران إلى ثلاثة آلافٍ فخمسة آلاف . قال تعالى : ﴿ إذ يوحى ربّك إلى الملائكة أنّى معكم فثبّتوا الّذين آمنوا ﴾ .

ومن البيّن أنّ الجزئيّة الكريمة تقرّر أنّ ربّ العزّة مع الملائكة الكرام بالنّصر والتّأييد ، وأنّ هؤلاء الملائكة الأطهار يأمرهم ربّ العزّة والجلال بأن يثبّتوا الّذين آمنوا وأن يؤازروهم(١) .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أتّهم عن مِقْسَم عن ابن عبّاس قال : ولم تقاتل الملائكة فى يومٍ سوى بدرٍ من الأيّام . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام عَدَدًا ومَدَدًا لا يضربون(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة عن أبى أُسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرًا ، قال بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدرٍ ومعى بصرى لأريتكم الشّعب الّذى خَرَجَتْ منه الملائكة لا أشكّ فيه ولا أتمارى(٣) .

عن هشام بن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدرٍ على خيلٍ بُلْقٍ عليهم عمائم صفر . وكان على الزّبير يومئذٍ عمامةٌ صفراء(٤) .

وفى مقابل ربط الله تعالى على قلوب المؤمنين وتثبيت أقدامهم خِذْلان الله تعالى الكافرين وإلقاء الرّعب فى قلوبهم . قال تعالى : ﴿ سَأُلْقى فى قلوب الّذين كفروا الرّعب ﴾ وثمّة وجه شبه بين هذه الجزئيّة الكريمة وبين الآية الكريمة الحادية والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران وهي تتحدّث عن غزوة أحد . قال تعالى(٥) : ﴿ سنُلْقِى فى قلوب الّذين كفروا الرّعب بما أشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانًا ومأواهم النّار وبئس مثوى الظّالمين ﴾ .

---

(١) السّيرة النّبويّة ٦٦٨/١ . (٢) السّيرة النّبويّة ٦٣٤/١ . (٣) السّيرة النّبويّة ٦٣٤/١ .
(٤) تفسير الطّبري ٥٤/٤ وانظر السّيرة النّبويّة ٦٣٣/١ .
(٥) سورة آل عمران ١٥١ .

وفى دراستنا المتأمّلة لسورة آل عمران سبق لنا أن تحدّثنا عن الإلقاء ولفظة الرّعب[١] وبشأن جملة : ﴿ سنلقى ﴾ استأنسنا بالآية الكريمة العاشرة من سورة يوسف الّتى يجىء فيها جملة : ﴿ ألقوه ﴾ خطابًا من كبير الإخوة الّذى وضع الله تعالى فى قلبه القدر الضّرورىّ من الحبّ لأخيه يوسف عليه السّلام ، خطابًا من كبير الإخوة لإخوته التّسعة الّذين صمّموا على التّخلص من يوسف عليه السّلام . وإنّما جاء على لسان الأخ الكبير أو الأكبر القول : ﴿ ألقوه ﴾ بقصد امتصاص حماس الإخوة الّذين فهموا آنذاك أنّ مراد الأخ الكبير إلقاء يوسف من أعلى الجبّ إلى غيابته . والمعروف أنّ الإخوة العشرة ساعة التنفيذ جعلوا يوسف فى غيابة الجبّ ولم يلقوه . وقد فهم من القول فى سورة آل عمران : ﴿ سنلقى ﴾ ومن القول فى سورة الأنفال : ﴿ سألقى ﴾ طرد الكافرين من رحمة الله تعالى بسبب بعد قلوبهم عن الله تعالى .

وبشأن لفظة الرّعب ، بمعنى أشدّ الخوف ، فطن العلماء بشأن هذه اللّفظة إلى ثلاثة معان ، الخوف ، والامتلاء ، والقطع[٢] .

وقد عبّر الرّاغب الأصفهانى[٣] عن هذه المعانى بالقول : « الرّعب الانقطاع من امتلاء الخوف . . . ولتصوّر الامتلاء منه قيل : رَعَبْتُ الحوض ملأته ، وسيلٌ راعب يملأ الوادى . وباعتبار القطع قيل : رَعَبْتُ السّنام قطعته . وجاريةٌ رُعبوبةٌ شابّة شطبةٌ تارّة[٤] والجمع الرّعابيب »

ولفظة « رعب » تأتى فى القرآن الكريم خمس مرّات . فى إحدى المرّات تشمل كلّ النّاس وذلك فى قوله تعالى فى سورة الكهف[٥] : ﴿ لو اطّلعت عليهم لوليّت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا ﴾ أمّا المرّات الأربع فإنّ اللفّظة تُستَعْملُ فى حقّ

---

(١) تأمّلات فى سورة آل عمران ٤٤٠ ـ ٤٤٢ .
(٢) انظر معجم مقاييس اللّغة : « رعب » ٢/٤١٠ .
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « رعب » ١٩٧ .
(٤) التّارّة : السّمينة المسترخية .
(٥) الآيـــة ١٨ .

اليهود مرّتين اثنتين . فى حقّ يهود بنى النّضير جاء قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة الحشر[1] : ﴿ هو الّذى أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من دريارهم لأوّل الحشر . ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنّهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرّعب يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ وفى حقّ يهود بنى قريظة جاء قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة الأحزاب[2] : ﴿ وأنزل الّذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرّعب فريقًا تقتلون وتأسِرون فريقا ﴾

كما أنّ لفظة « رعب » تستعمل فى حقّ الكافرين من قريشٍ فى المقام الأوّل فى كلٍّ من سورة الأنفال وسورة آل عمران على نحو ما مرّ بنا .

وتشير الآية الكريمة فى جزئيتها الأخيرة إلى ثمرة تأييد ربّ العالمين المؤمنين وخِذْلان الكافرين فى بدر : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان ﴾ والمعروف أنّ الضّرب فى الحرب يكون فى العادة بالسّيف حينما يدنو كلٌّ من المتحاربين من صاحبه أشدّ الدّنوّ ولا يبقى وراء المضاربة بالسّيوف وما فى حكمها إلاّ الصّراع المباشر بالأيدى وما إليها حينما يتعذّر استلال السّيوف واستعمالها بسبب التّلاحم . إنّ الآية الكريمة فى أمرها المؤمنين بالضّرب بالسّيوف تريد من المؤمنين أن يكونوا فى منتهى التّمكّن من الخصم والاستعلاء عليه . وها هي ذى الآية الكريمة تأمر المؤمنين بالضّرب بالسّيوف فوق الأعناق وبضرب كلّ بنانٍ وطَرَفٍ من الكافرين .

وكأنّ الآية الكريمة لا تكتفى من المؤمن بمجرّد ضربه عنق الكافر وإطارة رأسه إنّما تريد أن يكون المؤمن فى منتهى التّمكّن من خصمه والقهر له إلى الحدّ الّذى يبدو معه الكافر المقتول وكأنّه يُقْتَلُ صَبْرًا ولهذا يتمكّن خصمه من ضربه فوق عنقه من قفاه وليس وراء هذه الحال فى الدّلالة على التّمكن من الخصم وراء . وفى حالة عدم التّمكّن من رقبة الخصم واحتراز رأسه يقطع المؤمن من الكافرين فى ميدان

---

(١) الآية ٢ . (٢) الآية ٢٦ .

القتال كلّ طرفٍ وعضوٍ عبّرت عنه الآية الكريمة بالبنان . والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرّجلين ، والمعنى : واضربوا أيّها المؤمنون من عدوّكم كلّ طرفٍ ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم[١] .

ونستطيع أن نفهم من الضّرب فوق الأعناق القتل بجزّ العنق وإطارة الرّأس ، ومن ضرب كلّ بنانٍ من الكافرين قطع أيديهم ، وحزّ أطرافهم ، وبتر أناملهم ، فما قيمة الكفّ دون الأنامل ، وما قيمة الكّف دون زندٍ[٢] وساعد[٣] وبالإضافة إلى هذه المعاني القريبة المتبادرة من الأمر بالضّرب فوق الأعناق وكلّ بنان ثمّة لطيفةٌ بشأن كلٍ من الأمرين . وتفسير ذلك أنّ المتحاربين يرتدون في الحرب السّرابيل من الحديد الّتي تقي البأس وأذى السّلاح بإذن الله تعالى . وحينما ننظر إلى السّرابيل من الحديد الّتي تكون في العادة فضفاضةً تساعد على الحركة سابغةً تحمي الأطراف نتبيّن أنّ هنالك موضعين اثنين من جسد الإنسان معرّضين لأن ينكشفا في الحرب بالضّرورة[٤] الرّأس وأعلى جيب[٥] الدّرع والفتحة الّتي يدخل المحارب رأسه منها في أثناء ارتداء الدّرع . وآخر هذين الموضعين الأصابع وأطراف اليدين لاضطرار المحارب الإمساك بإحدى اليدين وسيلته في القتال من سيفٍ أو رمحٍ وما إليهما والإمساك بأخرى اليدين وسيلته في الدّفاع من تُرْسٍ ودرقةٍ وما إليهما .

إنّ الآية الكريمة في الأمر بالضّرب فوق الأعناق وكلّ بنانٍ من الكافرين تنبّه إلى هذين المكانين اللذّين يمكن أن يُؤْتى منهما الخصوم ، إضافةً إلى الأمكنة الأخرى الّتي يمكن الوصول عن طريقها إلى الخصم من أجل قتله أو إثخانه ، فينبغي الاستعانة بالله تعالى ثمّ الاجتهاد في إصابة مقاتل الخصوم .

والآية الكريمة التّالية تبيّن أنّهم كما استحقّوا ذلك العذاب في الدّنيا يستحقّون في الآخرة عذاب النار وبئس القرار . قال تعالى : ﴿ ذلك بأنّهم شاقّوا الله

---

(١) انظر تفسير الطّبري ١٣٢/٩ .
(٢) الزّند : موصل الذّارع في الكفّ .
(٣) السّاعد : ما بين المَرْفِق والكفّ . والمرفق الموصل بين السّاعد والعضد .
(٤) الخُوذة : ما يجعله المحارب على رأسه ليقيه . (٥) الجيب من الجَوْب بمعنى القَطْع .